حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

(٦٥ ــ ٨٦ هـ / ٦٨٤ ــ ٧٠٥ م)

أ.م.د. عبد الجبار محسن السامرائي

جامعة تكريت . كلية التربية / سامراء . قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد

إذا كان ثمة موضوعات تستحق أن يبحث فيها أكثر من غيرها في العصر الأموي ، فهي الموضوعات التي تتعلق بالجوانب الحضارية ، وعلى رأسها حركة التعريب ، لما لها من أهمية كبرى في حركة التاريخ العربي الإسلامي ونتائجها الكبرى في شتى المجالات .

لقد أدرك الخليفة عبد الملك بن مروان أن اكتمال السيادة العربية الإسلامية لا تتم إلا بعد القضاء على كل المظاهر الأجنبية ، لذلك عمد الخليفة إلى تعريبها والسيطرة على إدارتها وأعمالها ، حتى صارت الميزة الكبرى لعصر الخليفة عبد الملك ، إنه عصر التعريب ، إذ قاد الخليفة بنفسه حركة التعريب الكبرى هذه ونفذها أمراؤه في أقاليم الدولة المختلفة ، وأتمها من جاء من بعده من الخلفاء ، وشملت هذه الحركة : تعريب النقود ، وتعريب الطراز ، والقراطيس والوثائق الرسمية ، وتعريب دواوين الخراج .

والواقع إن حركة التعريب كانت ضرورة عملية لتأكيد كيان الدولة السياسي والاقتصادي ، وصبغها بالصبغة العربية وعاملاً مهمًّا في توحيد ثقافته ونشرها ، فهي لذلك مرحلة حاسمة من مراحل التطور الحضاري في شتى المجالات .

تناول هذا البحث موضوع حركة التعريب الشاملة في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان ، ويقع في أربعة مباحث : تناول الأول منها : (تعريب النقود المتداولة) وضرب عملة عربية إسلامية على الطراز الخاص ، فبحثت المحاولات الأولى للتعريب ، وأسباب التعريب ، ثم فصلت في مراحل التعريب الحاسمة وحققت في الصور المنقوشة على النقود ، والتي اعتقد الكثيرون أنها صورة الخليفة عبد الملك بن مروان ، وتوصلت إلى أنها ليست صورة الخليفة عبد الملك بن مروان ، وإنما هي مجرد صورة رمزية تمثل سلطان الإسلام والمسلمين ، وعززت ذلك بعدد مهم من صور النقود النادرة المحفوظة في أشهر المتاحف العالمية .

وتناولت في المبحث الثاني : تعريب الطراز والقراطيس والمكاتبات الرسمية والسيطرة على إدارتها .

أما المبحث الثالث فتناول : (تعريب دواوين الخراج) ، فبحثت أسباب التعريب وناقشت آراء المؤرخين القدامى في ذلك ، وعمليات تعريب الدواوين في الشام والعراق ومصر.

أما المبحث الأخير فقد تناول مناقشة أهم نتائج حركة التعريب وعلى جميع الأصعدة .

واعتمدت في بحثي هذا على عدد كبير من المصادر الأولية الأساسية واستفدت منها كثيرًا ، كما رجعت إلى عدد مهم من المراجع الحديثة المعتبرة العربية منها والأجنبية ، ولاسيما في المبحث الأول .

المبحث الأول

تعريب النقود

أولاً : المحاولات الأولى لتعريب النقود :

ظلت الدولة العربية الإسلامية ، وحتى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ ــ ٨٦ هـ / ٦٨٤ ــ ٧٠٥ م) تتعامل بالدنانير الذهبية البيزنطية ، والدراهم الفضية الفارسية ، وبعض الدراهم الفضية الحميرية[١] ، إذ ((كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة ... وترد عليهم دراهم الفرس البغلية[٢] ، وبعض النقود الفضية الحميرية))[٣] ، كما تعاملوا بنقد الفلس ، ولاسيما في مصر وبلاد الشام[٤] .

لم يُؤثَر عن الرسول محمد ﷺ ولا الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ أنهما حاولا تعريب النقود وإصلاحها[٥] ، لظروف الدولة الإسلامية الدقيقة .

وحينما تولى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣ ــ ٢٣ هـ / ٦٣٤ ــ ٦٤٣ م) ، حاول تعريب النقود وإصلاحها ، حينما ضرب الدراهم ، فنقش على بعضها عبارة (الحمد لله) ، وعلى بعضها الآخر عبارة (محمد رسول الله) ، وعلى أخرى (لا إله إلا الله) ، وعلى جزء منها (عمر)[٦] ، كما زاد على نقد الفلس المضروب في مدن بلاد الشام كلمة (جايز) أو (وافٍ) ، تأكيدًا على سلامتها وشرعيتها[٧] .

وبذلك عُدَّ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أول من كتب على الدراهم والفلوس باللغة العربية ، مع أنه لم يعثر على أمثال هذه النقود إلى حدِّ الآن[٨] .

وفي خلافة عثمان بن عفان ﷺ (٢٣ ــ ٣٥ هـ / ٦٤٣ ــ ٦٥٥ م) ضربت دراهم كتب عليها (الله أكبر) و(بسم الله) و(بسم الله ربي) و(بسم الله الملك) و(بركة)[٩] ، كما ضربت في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ (٣٥ ــ ٤٠ هـ / ٦٥٥ ــ ٦٦٠ م) دراهم أيضًا تحمل كلمات عربية ، مثل : (بسم الله ربي) و(محمد)[١٠] ، وكان كلا الضربين على الطراز الساساني[١١] .

وفي بدايات العصر الأموي ضرب معاوية بن أبي سفيان (٤١ ــ ٦٠ هـ / ٦٦١ ــ ٦٧٩ م) دراهم خاصة به ، ويمتلك المتحف العراقي نماذج منها ، وهي على نوعين :

الأول : كالذي سبق ضربه في مدن فارس وسجستان وخراسان ، وعليه عبارات إسلامية كتبت باللغة العربية ، مثل : (بسم الله) و(بسم الله ربي) ، و(بسم الله الملك)[١٢].

أما النوع الثاني فكتب عليه كلمات عربية أيضًا ، غير أن الخليفة معاوية وضع اسمه محل اسم كسرى ، (معاوية أمير وروشنكان) : (معاوية أمير المؤمنين)[١٣] . وقد ضربت هذه الدراهم لمدة سنة واحدة ، وهي سنة (٤١ هـ / ٦٦١ م) ، وفي مدينة دار بجرد[١٤] .

كما ضرب الخليفة معاوية بن أبي سفيان القليل من الدنانير الذهبية ، ووضع عليها صورة رجل متقلد سيفًا ، إلا أن هذا الضرب كان رديئًا ، فضلاً عن كونه محدودًا على ما يبدو[١٥] .

وبعد نهاية خلافة يزيد بن معاوية (٦٤ هـ / ٦٨٣ م) اضطربت أحوال الدولة العربية الإسلامية ، وكثر المطالبون بالخلافة ... وقام بعضهم بضرب نقود بأسمائهم ، وتحمل العبارات العربية الإسلامية ، مثل : (عبد الله بن الزبير) ، الذي كان أول من ضرب دراهم في الحجاز ، وقد نقش بأحد الوجهين (محمد رسول الله) ، وبالوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل)[١٦] ، ونقش على استدارتها اسم (عبد الله)[١٧].

كما ضرب مصعب بن الزبير في العراق دراهم سنة (٧٠ هـ / ٦٨٩ م) ، وكتب عليها في أحد الوجهين (بركة الله) ، وعلى الوجه الآخر (الله) ، كما ضرب مع الدراهم دنانير أيضًا[١٨] .

وضرب بعض الولاة المتمردين على الخلافة دراهم تحمل أسماءهم[١٩] ، كما ضرب بعض رؤساء الخوارج دراهم كتبوا عليها أسماءهم أيضًا[٢٠] .

ومن كل ما تقدم يمكننا القول : إن كل المحاولات السابقة لم تكن جذرية ، وإنها مجرد محاولات يسيرة ، تم فيها زيادة كلمات عربية أو عبارات دينية ، أو وضع اسم الخليفة أو الأمير باللغة العربية ، وإنها كانت مجرد جهود مشتتة وغير دقيقة ، لم يكتب لها النجاح والاستمرار ، ولم تأت بنتائج طيبة ، فاختلط الرديء بالجيد ، فزادت فوضى النقد ، فكان لا بد من تعريبها وإصلاحها ، ووضع نظام نقدي عربي إسلامي متكامل ، خالٍ من التأثيرات الأجنبية .

ثانيًا : أسباب التعريب :

وهناك أسباب عديدة دعت الخليفة عبد الملك بن مروان إلى تعريب النقود ، وهي كما يأتي :

١. الأسباب غير المباشرة .
٢. الأسباب المباشرة (حادثة القراطيس)[٢١] .

١. الأسباب غير المباشرة :

وتعدُّ الأسباب الحقيقة وراء قيام الخليفة عبد الملك بن مروان لتعريب النقود ، ويمكن إجمالها بما يأتي :

أ. الأسباب المالية والاقتصادية :

واجهت الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان حاجة متزايدة للأموال ، بسبب كثرة المشاكل الداخلية والخارجية ، لذلك كان من الضروري معالجتها ، من أجل دعم كيان الدولة المالي وتعزيز اقتصادها[٢٢] .

كما أن هناك علاقة وثيقة بين تنوع الدراهم واختلاف أقيامها ، وبين كمية إيرادات بيت المال ، إذ كان دافعو الخراج يؤدون ما بذمتهم من حقوق إلى بيت المال ، بالدراهم قليلة الوزن ، ويحتفظون بالدراهم ذات الأوزان العالية[٢٣] ، مما يسبب حيفاً وخسارة لبيت المال ، لذلك صار من الضروري ضرب عملة شرعية موحدة الأوزان ، تستوفي بها الدولة حقوقها ، وترفع الضرر عن الناس .

ومن جهة أخرى فإن سيطرة الدولة على دور الضرب سيمكنها من الحصول على إيرادات أخرى لبيت المال ، ولاسيما إن الخليفة عبد الملك بن مروان سمح للناس بإعادة ضرب ما يملكون من نقود داخل دور الضرب التابعة للدولة[٢٤] ، مقابل دفع أجرة لبيت المال ، وقدرها درهم واحد لكل مئة درهم[٢٥] ، مما يعني أن بيت المال سيحصل على موارد مالية جديدة مهمة[٢٦] .

كما أن أنواع النقود قد تعددت واختلفت أوزانها وأقيامها ، ولاسيما الدراهم الساسانية ، فقد ((كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم ، فجاء الإسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة))[٢٧] .

واستمرت أحوال النقد بهذا الشكل ، ((... إلى أن ضربت الدراهم الإسلامية ، فتميز المغشوش من الخالص))[٢٨] ، ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله : ((... وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم ... إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم ، وأمر عبد الملك الحجاج بضرب الدراهم))[٢٩] . كما كثر تزييف العملة وإنقاص وزنها ، ولاسيما الذهبية منها ، فأدى ذلك إلى نتائج اقتصادية سيئة لبيت المال ، منها : انخفاض قيمة العملة ، وارتفاع الأسعار ، وزوال الثقة المالية ، والغبن في حقوق الدولة المالية ، مما أدى إلى نقص في موارد الخراج[٣٠] ، لذلك ((رأى عبد الملك اتخاذ السكة[٣١] لصيانة النقدين الجاريين في معاملة المسلمين من الغش))[٣٢] .

كما تزايدت في هذه المدة الحاجة إلى النقود ، لاتساع النشاط المالي والاقتصادي ، مع عدم استقرار العلاقات العربية ــ البيزنطية ، فيقول البلاذري عن النقود البيزنطية :

((فمكثت حيناً لا تصل إليهم))[٣٣] ، فحينئذٍ أصبحت الحاجة ملحة لضرب عملة إسلامية خالصة ، تسد حاجة الدولة المتزايدة لها ، وتفك اقتصاد الدولة من الارتباط الأجنبي مما يحقق استقلالاً يدعم الاستقلال السياسي .

ب. **الأسباب السياسية :**

عمد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى العمل على إنها التأثيرات الأجنبية المتمثلة بالفرس والبيزنطيين ، إذ بقيت النقود الفارسية ترمز إلى ذلك العهد البغيض من السيطرة الفارسية على أراضٍ واسعة من الدولة العربية الإسلامية ، فضلاً عن أن بعض دور السك الكثيرة ما تزال تحت تأثير الدهاقين والمتنفذين من الفرس خاصةً[٣٤] ، وهي شبه مستقلة في عملها ، مما يؤثر سلبًا في اقتصاد الدولة ، فلا بد إذًا من السيطرة عليها وإنهاء بقايا التأثيرات الفارسية .

أما بالنسبة إلى الدولة البيزنطية ، فإنها كانت المورد الرئيس للدنانير الذهبية ، مما يعني نوعًا من التبعية السياسية ، وينقص من الكرامة الوطنية والقومية ، حتى إن الإمبراطور جستنيان الثاني عدَّ ضرب النقود داخل إمبراطوريته حق لا يمكن المساس به ومن قبيل الخضوع له[٣٥] ، لذلك فإن الاستقلال السياسي لا يكون ناجزًا إلا بإزالة كل مظهر من مظاهر التبعية الأجنبية .

أما على الصعيد الداخلي فقد أراد الخليفة عبد الملك بن مروان حصر حق ضرب النقود بشخص الخليفة وحده ، وتحت إشراف الدولة المباشر[٣٦] ، ومنع غيره من المتمردين والخارجين عن الدولة من ضربها ، لأنها تُعَدُّ رمزًا يعبر عن وحدة الدولة وقوتها وسياستها واستقلالها السياسي والاقتصادي .

كما أن هناك ظاهرة سياسية ميَّزت عصر الخليفة عبد الملك بن مروان ، وهي بروز الاتجاه القومي ، والعمل على صبغ الدولة بالصبغة العربية ، على وفق منهج تنظيمي وإصلاحي شامل لجميع المجالات ، والذي يمكن عدَّه من الإصلاحات الجذرية والهامة في التاريخ العربي الإسلامي .

ت. **الأسباب الدينية :**

كانت النقود المتداولة قبل تعريبها مختلفة الأوزان والأقيام ، مما سبب إشكالات في تأدية الحقوق الشرعية لبعض العبادات والمعاملات ، وعلى رأسها الزكاة ، كما أربك دافع الخراج وبيت المال ، لذلك بات من الضروري ضرب النقود على الوزن الشرعي ، ويؤكد ذلك المقريزي بالقول : ((إن الذي دعا عبد الملك إلى ما صنع من ذلك أن الدراهم كانت على وجه الدهر سوداء وافية[٣٧] ، وطبرية عتقًا[٣٨] ، فلما نظر عبد الملك في أمور الأمة ، قال : إن هذه الدراهم تبقى مع الدهر ، وقد جاء في الزكاة أن في كل (مائتين) أو في كل خمس

أواقٍ خمس دراهم ، وأشفق أن جعلها كلها على مثال السود العظام (مائتين) ، يكون في ذلك بخسًا للزكاة ، وإن عملها كلها مثال الطبرية ، ... كان في ذلك حيف وشطط على رب المال ، فاتخذ عبد الملك منزلة بين منزلتين ، فيها كمال الزكاة ، من غير بخس ولا ضرر بالناس مع موافقة ما سنَّه رسول الله ﷺ وحدَّه من ذلك))[٣٩] .

وفضلاً عن ذلك فإن هذه النقود تحمل كتابات ونقوش دينية تتعارض مع مبادئ العقيدة الإسلامية ، يرى السيوطي أن : ((سبب ضرب عبد الملك للنقود أنه وجد دراهم ودنانير ... مكتوب عليها باسم الأب والابن وروح القدس ، فسكها عبد الملك ونقش عليها اسم الله تعالى))[٤٠] ، فكانت في نقود الخليفة عبد الملك ثلاث فضائل : كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم ، وأنه عدل بين صغارها وكبارها ، وأنها موافقة لسنة رسول الله ﷺ[٤١] .

وبذلك حدَّد عيارًا ثابتًا لكل من الدينار والدرهم بنسبة معينة ، على وفق ما أقره الشرع ، وضربها على هذا الأساس ، مما كان له أثر مهمٌّ في إرضاء الشعور الديني للناس .

٢. الأسباب المباشرة (حادثة القراطيس)

لقد عدَّ مؤرخونا القدماء هذه الحادثة السبب الرئيس لتعريب النقود وضرب عملة عربية إسلامية خالصة ، لأنها أثارت الشعور الديني والقومي لمساسها بأصول الدين والمصلحة الاقتصادية[٤٢] ، وقد لخص البلاذري حادثة القراطيس بقوله : ((كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير ، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير[٤٣] من (قل هو الله أحد) ... فكتب إليه ملك الروم : إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتابًا نكرهه ، فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه ، فكبر ذلك في صدر عبد الملك ، فكره أن يدع سنة حسنة سنَّها ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية[٤٤] ، وأشار عليه خالد بأن يضرب النقود))[٤٥] .

أما البيهقي فيذكر أن الذي أشار على الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب النقود هو محمد بن علي بن الحسين (الباقر)[٤٦] ، قائلاً له : ((وتعمد إلى وزن ثلاثين درهمًا عددًا من الأصناف الثلاثة التي وزن العشرة ، منها عشرة مثاقيل ، وعشرة منها ستة مثاقيل ، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل ، فتكون أوزانها جميعًا واحدًا وعشرين مثقالاً ، فتجزِّؤها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجات[٤٧] من قوارير لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان فتضرب الدنانير على وزن عشرة والدراهم على وزن سبعة مثاقيل))[٤٨] .

وهكذا يجيء العامل المباشر ــ بما يحمله من أبعاد دينية تجاه البيزنطيين وروح قومية تجاه الفرس ــ مكملاً للأسباب غير المباشرة ليخرج نظامًا نقديًّا عربيًّا إسلاميًّا أصيلاً خاليًا من التأثيرات الأجنبية .

ثالثًا : مراحل تعريب النقود :

إن عملية تعريب النقود جزء من حركة تعريب شاملة لجميع مؤسسات الدولة ، وامتدت هذه الحركة من سنة (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) ، واستكملت سنة (٧٨ هـ / ٦٩٧ م) ، وشملت الدينار والدرهم والفلس ، وقد مرَّ هذا العمل الكبير بمراحل استنتجناها من خلال ما وصل إلينا من نقود مختلفة ضربت في هذه المدة ، تحمل إشارات عن هذه الحركة ، وتحتفظ المتاحف العالمية بنماذج مهمة منها ، وربما تكشف الأيام عن نماذج جديدة تلقي أضواءً أخرى لهذا الإنجاز الهام في تاريخنا العربي الإسلامي .

أ. مراحل تعريب الدينار :

استفاد الخليفة عبد الملك بن مروان في ضرب عملة الدينار الجديد ، من الدينار البيزنطي الذي كانت أوصافه (الشكل رقم ١) كما يأتي[٤٩] :

الوجه : صورة الإمبراطور البيزنطي هرقل في الوسط ، وعلى اليمين ابنه قسطنطين ، وعلى اليسار ابنه هرقليوناس فوق رأسه كل واحد منهم تاج يعلوه صليب ، وبأيمانهم العصا المطرانية (صليب طويل) يعلوه صليب فوقه كرة ويحيط بهذه الصورة دائرة خارجية . الظهر : صليب مرسوم على أربع مدرجات ، وحول الصليب عبارات دعائية مكتوبة باليونانية ، وفي أسفل الصليب الحروف الأولى من دار السك (القسطنطينية) .	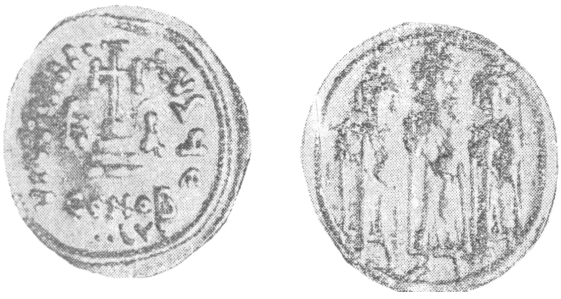 شكل رقم (١) دينار بيزنطي خالص

وقد مرَّ الدينار بمراحل حتى تم تعريبه ، وكما يأتي :

المرحلة الأولى : قام الخليفة عبد الملك بن مروان في هذه المرحلة بتحوير الدينار البيزنطي (شكل رقم ١) مستفيدًا من النقوش الموضوعة في نقد الفلس البيزنطي المضروب من النحاس والموسوم (I.B) وصارت أوصاف هذا الدينار هي كالآتي : (كما في الشكل رقم ٢)[٥٠] .

الوجه : أبقى الخليفة عبد الملك بن مروان صورة الإمبراطور مع ولديه كما هي ، مع حذف رؤوس الصلبان ، وأصبح الصليب يشبه الحرف (T) . الظهر : غيَّر الخليفة عبد الملك بن مروان شكل الصليب القائم على المدرجات الثلاث ، وأصبح يشبه حرف (T) ، والعبارات الدعائية بقيت كما هي في شكل رقم (١) ، ووضع حرف (I) على اليسار وحرف (B) على اليمين .	 شكل رقم (٢) دينار عربي بتأثيرات بيزنطية

المرحلة الثانية : وفي هذه المرحلة ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان لأول مرة دينارًا يحمل شارات إسلامية ، وعليه كتابات باللغة العربية ، وهو شيء جديد يُعَدُّ بمثابة تطور كبير في سبيل تعريب الدينار وإصلاحه ، ولم يرد في هذا الدينار ذكر تاريخ الضرب ، ويحتمل أنه ضرب في بحر السنتين (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) و(٧٥ هـ / ٦٩٤ م) ، وهذه أوصافه : كما في الشكل رقم (٣)[٥١] .

الوجه : غيَّر الخليفة عبد الملك بن مروان آثار الصلبان على العصي ، وجعلها على شكل كرات ، مع بقاء صورة الإمبراطور كما هي

الظهر : المركز : جعل رأس العمود القائم على المدرجات الثلاث على شكل كرة ، وجعل حرف (I) على اليمين ، وحرف (T) على اليسار .

الطوق : كتب فيه وبالخط الكوفي عبارة (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) ، وهي تظهر لأول مرة في النقود العربية الإسلامية .

شكل رقم (٣)

دينار عربي بتأثيرات بيزنطية

المرحلة الثالثة : وفي هذه المرحلة قام الخليفة عبد الملك بن مروان بحذف صورة الإمبراطور البيزنطي وأولاده ، ووضع بدلها صورة تمثله ، وهو يحدث لأول مرة ، وعدَّ ذلك تطورًا خطيرًا وخطوة حاسمة في سبيل تعريب الدينار وإصلاحه ، وبالمقابل مثل ثورة على نظم السكة القديمة ، وأصبحت أوصاف هذا الدينار هي كالآتي ممثلة بالشكل رقم (٤)[٥٢] .

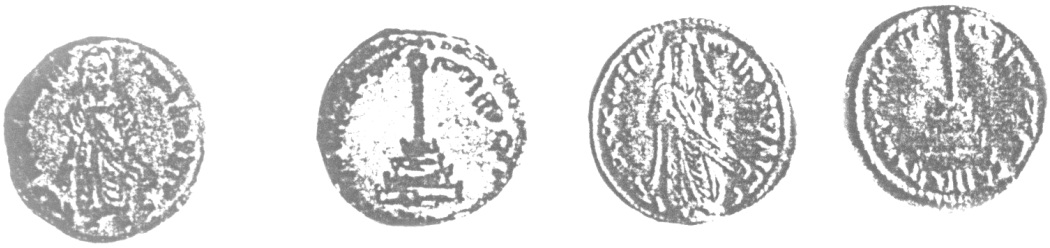

P.13 P.14

شكل رقم (٤)

دينارات بصورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان

الوجه :

المركز : صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان حاسر الرأس قائمًا مواجهًا يتدلى شعره على كتفيه ، ويرتدي عباءة ، وممسكًا سيفًا بيده اليمنى .

الطوق : كتب حول هذه الصورة بالعربية وبالخط الكوفي عبارة (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) .

الظهر :

المركز : رفع حرفي (B . I) وأبقى العمود القائم على المدرجات كما هو .

الطوق : كتب بالعربية وبالخط الكوفي عبارة نصها (بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ٧٦) ، وأحاطت بالكتابة دائرة خارجية .

المرحلة الأخيرة : ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان دنانيره على الطراز العربي الإسلامي الخاص أواخر سنة (٧٧ هـ / ٦٩٦ م) لأول مرة في التاريخ ، واستمر ذلك حتى نهاية الخلافة الأموية ، مع بعض التعديلات الطفيفة ، وهذه أوصاف هذا الدينار : كما في الشكل رقم (٥)[٥٣] .

الوجه :

المركز : مكتوب فيه (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) .

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدينار في سنة سبع وسبعين .

الظهر :

المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

شكل رقم (٥)

دينار عربي إسلامي خالص

ب. **مراحل تعريب الدرهم :**

إن عملية تعريب الدرهم وإصلاحه على ما يبدو كانت أكثر تعقيدًا من الدينار ، بسبب كثرة أنواع الدراهم التي صدرت ضمن زمن مرحلة التعريب ، فضلاً عن تعدد مراكز الإصدار ودور السك ، وضعف سيطرة الدولة عليها[٥٤] ، ويترتب على هذا أن تعريب الدرهم وإصلاحه لم يبدأ تطبيقه في كل أنحاء الدولة في زمن واحد ، وبالالتزام نفسه ، وربما كان هذه من جملة أسباب تأخر تعريب الدرهم عن الدينار .

ومن المؤكد أن تعريب الدرهم مرَّ بمراحل شأنه في ذلك شأن الدينار ، إلا أننا لا يمكن أن نحدد تلك المراحل بدقة في الوقت الحاضر ، وذلك لقلة ما وصل إلينا من دراهم تمثل مرحلة ما قبل التعريب النهائي للدراهم سنة (٧٨ هـ / ٦٩٧ م)[٥٥] ، ومع ذلك يمكننا أن نحدد تلك المراحل من خلال ما يتوافر لدينا الآن من دراهم ضربت في هذه المرحلة .

المرحلة الأولى :

في هذه المرحلة ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان دراهمه على الطراز الساساني ، وهو باسم كسرى الثاني ، وكتب على الطوق وبالخط الكوفي العبارة العربية الآتية : (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) ، مع كتابة مكان الضرب ، وهو مدينة دمشق ومؤرخ سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) ، (٧٤ هـ / ٦٩٣ م)[٥٦] .

المرحلة الثانية :

وفي هذه المرحلة نقش الخليفة عبد الملك بن مروان صورة تمثله على وجه هذا الدرهم ، وكتب بجانبي الصورة باللغة العربية وبالخط الكوفي عبارة (أمير المؤمنين خلفت بالله) ، وكتب على الظهر : ضرب سنة (٧٥ هـ / ٦٩٣ م) ، وهو درهم نادر جدًّا[٥٧] ، وأصبحت أوصاف هذا الدرهم في هذه المرحلة كالآتي : (شكل رقم ٦)[٥٨] .

الوجه : المركز : صورة كسرى مكتوب فيها : ضرب سنة (خمس وسبعين) . الطوق : بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله . الظهر : المركز : صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان مكتوب على جانبها (أمير المؤمنين خلفت الله)	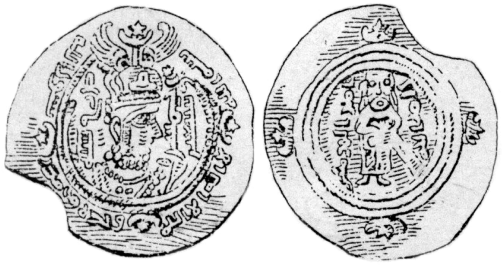 شكل رقم (٦) درهم عربي إسلامي بتأثيرات أجنبية

المرحلة الثالثة :

وأخيرًا جاءت المرحلة الثالثة والأخيرة ، إذ ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان الدرهم على الطراز العربي الإسلامي الخاص ، منذ سنة (٧٨ هـ / ٦٩٧ م) ، ولا يحمل إلا نصوصًا عربية إسلامية وبخط كوفي[٥٩] ، وأصبحت أوصافه كما في الشكل رقم (٧) هي الآتي[٦٠] :

الوجه : المركز : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد . الطوق : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . الظهر : المركز : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . الطوق : بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق في سنة تسع وسبعين .	 شكل رقم (٧) درهم عربي إسلامي مضروب على الطراز الخاص

ت. **تعريب الفلس :**

إنه من المؤكد أن التطور الذي حدث للدينار والدرهم قد حدث لنقد الفلس أيضًا ، لكنه ليس من السهولة تحديد مراحل هذا التعريب بدقة ، وذلك لقلة ما وصل إلينا من نقود نحاسية مضروبة في هذه الحقبة . وقد تكشف الأيام عن نقود نحاسية جديدة من فئة الفلس ، تلقي أضواءً مهمة وجديدة عن مراحل تعريب الفلس وإصلاحه .

ومما وصل إلينا من نقود نحاسية في هذه الحقبة نقود تحمل صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان ، بطراز عربي ــ بيزنطي ، وعليها عبارات وكلمات إسلامية مختلفة ، وبعضها يحمل اسم الخليفة عبد الملك ، وصفته ، وهي تمثل مرحلة مهمة من مراحل تعريب نقد الفلس وإصلاحه ، وهذه أوصافه : كما في الشكل رقم (٨)[٦١] .

الوجه : صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان ، وهو واقف حاسر الرأس مكتوب حولها : (لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين) . الظهر : شكل محوَّر للصليب محوط بكتابة نصها : (لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) بحمص .	 شكل رقم (٨) فلس عربي ــ بيزنطي ، بصورة تمثل الخليفة عبد الملك بن مروان

ويذكر أن المتحف العراقي يمتلك نماذج نادرة من الفلوس المضروبة في هذه المرحلة[٦٢] . ومع ذلك فإن أقدم ما وصل إلينا من فلوس نحاسية مضروبة على الطراز العربي الإسلامي الخاص ، يحمل التاريخ (٩٠ هـ / ٧٠٨ م)[٦٣] ، كما في الشكل (٩)[٦٤] ، وهذا الفلس مضروب في مدينة عكا ، ومن دون تاريخ الضرب ، ويذكر أن الفلس بخلاف الدينار والدرهم ، لم يخضع في فترة ما بعد التعريب لأوزان ونقوش ثابتة ، وفي معظم الأحيان لم يكن يذكر عليه تاريخ الضرب[٦٥] .

فلس عربي إسلامي خاص

وهناك مسألة مهمة ترتبط بمراحل التعريب وإصلاح النقود هي : مسألة نقش الصورة على النقود قبل ضربها بشكل نهائي على الطراز الخاص ، وهل هي صورة الخليفة عبد الملك أم صورة رمزية ؟

لقد ناقش عدد من الباحثين الموضوع من عدة أوجه ، فيقول الدكتور عبد الرحمن محمد فهمي[٦٦] : ((إن كراهية الإسلام للسكة المصورة لم تكن حقيقة واقعة ، بدليل تعامل الرسول محمد ﷺ بها ... وإن هذه الصورة هي صورة شخصية للخليفة عبد الملك بن مروان ، يظهر وهو واقف يحمل السيف بيمينه ... وتغطي رأسه ملحفة (كوفية) ... وللخليفة لحية طويلة أطلقها لتتفق وتعاليم السنة النبوية)) .

ونرى أن في هذا الرأي نظرًا للأسباب الآتية :

١. لقد ناقش عدد من الباحثين[٦٧] مسألة كراهية الإسلام للتصوير ، ولا نريد ذكر التفاصيل ، بل نقول : إن الشرع الإسلامي نهى عن الصور[٦٨] ، والتزم الناس بذلك على أقل تقدير في صدر الإسلام ، فقد حطم الرسول محمد ﷺ الأصنام وأحرق الرسوم في الكعبة ، لذلك أنكر بعض الصحابة رضي الله عنهم في المدينة نقود الخليفة عبد الملك بن مروان ذات الصورة ، عند قدومها عليهم ، فيقول المقريزي[٦٩] : ((... فلم ينكروا منها سوى نقشها ، فإن فيها صورة)) ، ولم يذكر المؤرخون أن هذه صورة للخليفة عبد الملك ، بل هي مجرد صورة .

٢. إن تعامل الرسول محمد ﷺ بالسكة المصورة لا يعدُّ دليلاً كافيًا على عدم كراهية التصوير في الإسلام ، وإن هذا التعامل كان على أساس الوزن وليس العدد[٧٠] ، أو النقش والشكل ، ولا يعني هذا التعامل إقرارًا لما تحمله من صور ونقوش ، بل ضرورة آنية .

٣. أما القول بحمل الخليفة عبد الملك للسيف ، وملابسه ، ولحيته ، فهذه أمور عامة يشترك فيها كل المسلمين في ذلك الزمن ، ولا يتميز بها الخليفة من غيره ، ثم إن الكوفية التي على رأسه في النقود لم تظهر إلا في درهم موسكو ، ودرهم المتحف العراقي المضروب سنة (٧٥ هـ / ٦٩٤ م) ، والتي لا تشكل هي أيضًا صفة مميزة للخليفة ، فكل الناس يلبسون الكوفية أو العمامة ، أو يضعون شيئًا آخر على رؤوسهم ، في حين تظهر أغلب الصور على الدنانير والفلوس ، والتي قيل إنها صورة الخليفة عبد الملك ، يظهر فيها حاسر الرأس مفروق الشعر ، ويتدلى شعره على كتفيه[٧١] ، كما أن هذه الصور والتي قيل إنها للخليفة عبد الملك تختلف في أشكالها كثيرًا بعضها عن بعض عند ملاحظتها والمقارنة بينها ، كما أن هناك تشابهًا بين أوصاف الصورة ــ التي قيل إنها للخليفة معاوية بن أبي سفيان ــ على الفلوس مع بعض صور الخليفة عبد الملك المزعومة على الدنانير والفلوس ، فتبدو صورة الخليفة وهو حاسر الرأس ويتدلى شعره على كتفيه قابضًا على السيف[٧٢] .

٤. أما ما يراه المرحوم الدكتور محمد باقر الحسيني[٧٣] : من أن تفاصيل هذه الصورة تتفق مع ما أورده ابن دقماق : ((من أن الخليفة كان طويلاً مقرون الحاجبين دقيق الوجه ذا لحية طويلة)) ، فعلى العكس تظهر (صورة) الخليفة عبد الملك في درهم موسكو ، ودرهم المتحف العراقي وحتى الدنانير المضروبة سنة (٧٦ هـ / ٦٩٥ م) و(٧٧ هـ / ٦٩٦ م) قصير القامة ، أما الصفات الأخرى التي ذكرت ، فلا تظهر واضحة ضمن الإمكانيات الفنية المحدودة للصورة ، في حين أن (الخليفة) عبد الملك في درهم موسكو ليست له لحية طويلة . ينظر الشكل رقم (٦) .

وأخيرًا لا بد أن نذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان أحد فقهاء المدينة الأربعة قبل خلافته[٧٤] ، فليس من المعقول إذًا أن يخفى عليه موقف الإسلام من التصوير ، كما أنه

ليس من المصلحة السياسية والحكمة أن يضع صورته على النقود ، ويدخل نفسه مدخل الشبهات والريبة ، وقد اجتمعت الأمة الإسلامية توًّا على خلافته في عام الجماعة سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) .

ومن كل ما مضى يمكننا القول إن هذه الصورة المنقوشة على النقود المضروبة قبل مرحلة التعريب النهائي ، ليست صورة شخصية للخليفة عبد الملك بن مروان ، وإنما هي مجرد صورة رمزية تمثل سلطان الإسلام والمسلمين ، كما مثلت الصور المنقوشة على النقود المتداولة قبل تعريبها . إذ إن الناس قد اعتادوا منذ زمن طويل على النقود ذات الصورة ، وليس بالإمكان ضربها دفعة واحدة على الطراز العربي الإسلامي الخاص ، بل لا بد من التدرج مع الزمن ، وضربها على مراحل حتى يقبلها الناس ويتعاملوا بها ، فهذه النقود ذات الصورة هي مرحلة وتجربة ، لتتميز نقوده من النقود الأجنبية ، ومعرفة موقف المسلمين منها ، فحينما لم ينكر الصحابة إلا نقشها ــ وهي الصورة ــ حينئذٍ رفع هذه الصورة، وضربها بطرازها العربي الإسلامي الخاص.

ومن أجل تعميم عملية تعريب النقود ونشرها ، قام الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء دار لسك النقود[٧٥] ، ومنع الناس من ضرب النقود خارج دور السك التابعة للدولة[٧٦] ، وأوجب التعامل بنقوده الجديدة ومنع تداول غيرها ، فبطل منذ ذلك الوقت التعامل بالنقود الأجنبية[٧٧] ، كما وضع صنجًا زجاجيًّا ((لا يستحيل إلى زيادة أو نقصان))[٧٨] ، وذلك من أجل المحافظة على وزن النقد وصيانته من التلاعب .

ومن أجل تنفيذ عملية التعريب والإصلاح في ولايات الدولة ، بعث الخليفة بالسكة إلى الحجاج في العراق[٧٩] ، وأمره أن يضرب الدراهم على وزن (خمسة عشر) قيراطًا[٨٠] ، فاتخذ دار ضرب ، وصار يضرب الدراهم للدولة وللتجار وغيرهم[٨١] مقابل دفع أجرة مقدارها (درهم) واحد لكل مئة درهم[٨٢] ، ((وختم على أيدي الصناع والطباعين))[٨٣] من أجل منعهم من الغش والتلاعب .

وقد مرَّت الدراهم التي ضربها الحجاج بن يوسف الثقفي بمراحل حتى ضربت على الطراز العربي الإسلامي الخاص ، إذ ضرب دراهمه أول الأمر على شاكلة الطراز الساساني (البغلية) ، وكتب عليها عبارة (بسم الله الحجاج) ، ولأول مرة ، كما في الشكل رقم (١٠)[٨٤] ، لذلك عُدَّ الحجاج أول امير في الدولة العربية الإسلامية يكتب اسمه على الدراهم ، لكنه غيَّرها بعد ذلك ، فضربها على الطراز العربي الإسلامي الخاص ، وكتب عليها (الله أحد الله الصمد)[٨٥] ، كما في الشكل رقم (٧) .

شكل رقم (١٠)

درهم على الطراز العربي ــ الساساني باسم الحجاج بن يوسف

ومن جهة أخرى قام الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومنذ سنة (٧٨ هـ / ٦٩٧ م) بوضع النقط على حروف الكلمات المنقوشة على الدنانير ، وظلت كذلك حتى سنة (١٠٦ هـ / ٧٢٤ م) تقريبًا ، إذ رفعت هذه النقط ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الدراهم ، فيلحظ أن النقط بدأت تظهر على حروف كلماتها ، منذ سنة (٨١ هـ / ٧٠٠ م) وحتى سنة (١٣١ هـ / ٧٤٨ م)[٨٦] .

ويلحظ أنه منذ سنة (٨١ هـ / ٧٠٠ م) حدث تطور يسير للكتابات على النقود ، إذ رفع حرف (في) من نص الكتابة على الدنانير والدراهم المضروبة في دمشق وأرمينية ، ورفعت كتابته من دراهم واسط سنة (٩٩ هـ / ٧١٧ م) ، إلا أنه ظل يكتب في المدن الأخرى[٨٧] .

ويلحظ أيضًا أنه ظلت هناك اختلافات يسيرة في نصوص الدينار العربي وأجزائه في الأقاليم الشرقية عنها في الأقاليم الغربية من الدولة ، إلا أن الدنانير العربية الإسلامية توحدت كتاباتها في كل أنحاء الدولة سنة (١١٤ هـ / ٧٣٢ م)[٨٨] .

وفي أفريقية والمغرب الإسلامي ضرب الوالي حسان بن النعمان الغساني سنة (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) نقودًا نحاسية على الطراز البيزنطي العربي ، ووصل إلينا قسم منها ، وعليها اسم (النعمان)[٨٩] ، مع الاستمرار بتداول النقود البيزنطية والتعامل بها ، ثم اتبع الولاة بعد ذلك خطوات إصلاحية تدريجية منذ عهد الوالي موسى بن نصير ، وهي على طراز عربي ــ لاتيني ، تنحصر فيما بين سنة (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) وسنة (٨٥ هـ / ٧٠٤ م)[٩٠] ، واستمر الأمر بهذا الشكل حتى تم تعريبها تمامًا وضربها على الطراز العربي الإسلامي الخاص سنة (١٠٨ هـ / ٧٢٦ م)[٩١] .

وفيما يخص الدينار فقد تأخر تعريبه وإصلاحه في أفريقية والمغرب الإسلامي عنه في المشرق الإسلامي ، فكان لا بد من التدرج في تعريبه ، ففي الوقت الذي كانت تضرب فيه الدنانير في المشرق الإسلامي على الطراز العربي الإسلامي الخاص ، كانت لا تزال الدنانير

تضرب في أفريقية بطابعها اللاتيني الخاص ، ثم تدرج في تعريبها ، فضربت بالحروف اللاتينية والعربية ، حتى ضرب بشكله العربي الإسلامي الخاص بحدود سنة (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) ، حينما ظهر أول دينار بهذا الطراز في أفريقية[٩٢] .

المبحث الثاني

تعريب الطراز والمكاتبات الرسمية

المقصود بالطراز في الأصل هو التطريز ، ثم تطور مفهومه ليعني الثياب المزينة بالأشرطة الكتابية ، ولاسيما ملابس الخليفة أو الأمير ورجال حاشيته ، وأخيرًا صار يطلق لفظ الطراز على المكان والمصنع الذي تصنع فيه مثل هذه المنسوجات[٩٣] ، كما أطلق لفظ الطراز على صحف (أوراق) الكتابات الرسمية التي كانت تكتب في رؤوس القراطيس أو الطوامير ، التي كانت تستعمل في المخاطبات الرسمية في غرب الدولة العربية الإسلامية ، والتي اشتهرت مصر بإنتاجها بكثرة وتصديرها إلى معظم أرجاء الدولة وخارجها ، ولاسيما الدولة البيزنطية[٩٤] .

ويؤكد ابن خلدون أن الطراز كان معروفًا لدى الشعوب والدول قبل الإسلام[٩٥] ، ثم جاءت الدولة العربية الإسلامية فبقي الحال على ما هو عليه من ناحية اللغة والإدارة والإنتاج إلى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان ، إذ قام بتعريبه[٩٦] .

وقد ازدادت الحاجة في العصر الأموي لإنشاء الطراز وتطويره ، فأنشأت عددًا من المصانع التي كانت تعرف بـ (دور الطراز) ، وكان القائم على إدارة هذه الدور يسمى (صاحب الطراز) ويتضمن عمله ، والنظر في آلات الطراز والحياكة والأصباغ ومتابعة أعمالهم وتوزيع رواتبهم وأرزاقهم ، والنظر في شراء ما يحتاجونه من الآلات وتسجيلها وتجديد ما استهلك منها[٩٧] ، ولا بد لصاحب الطراز هذا أعوان آخرون ومساعدون يساعدونه في إنجاز أعماله ويجيدون لغة الطراز .

وكانت دور الطراز على نوعين : طراز الخاصة ، وطراز العامة ، فطراز الخاصة هو الذي ينتج المنسوجات التي تخص الخليفة وجيشه والأمراء وكبار الموظفين والحاشية، وأما طراز العامة فهو الذي يمد عامة الناس بما يحتاجونه من منسوجات[٩٨].

لقد اشتهرت مصر بصناعة النسيج والقراطيس كما قلنا ، وكان يكتب في أعلى القراطيس وباللغة اليونانية (أبا ، ابنا ، روحا) وبرسم الصليب[٩٩] ، وهذا يمس جوهر العقيدة الإسلامية المبنية على مبدأ التوحيد ، ويؤثر في كرامة الدولة واستقلاليتها ، مما جعل الخليفة عبد الملك بن مروان يفكر جديًّا في تعريب الطراز ، ((... فمرَّ به قرطاس فأمر بترجمته فأنكره))[١٠٠] .

ويفصل ذلك البلاذري بقوله : ((كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير ، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من (قو هو الله أحد) ... فكتب إليه ملك الروم : إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتابًا نكرهه ، فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه ، فكبر ذلك في صدر عبد الملك ، فكره أن يدع سنة حسنة سنها))[١٠١] .

وتؤكد هذه الرواية جملة أمور منها : اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان بتعريب النقود والطراز ، وكل ما هو غير عربي ، كما نجح الخليفة في جعل الصراع مع البيزنطيين دينيًّا ، مثيرًا بذلك مشاعر المسلمين وعواطفهم ، فكان أحد أسباب نجاحه في مسعاه هذا .

وحينما نجح الخليفة عبد الملك بن مروان بتوحيد الدولة سياسيًّا ، بدأ يعمل لتحقيق توجهاته بإصلاح مؤسسات الدولة وتنظيمها وصبغها بالصبغة العربية ، ويفصّل لنا ذلك البيهقي على لسان الخليفة العباسي هارون الرشيد بقوله : وطراز القرطاس كانت بالطراز الإغريقي (الأب ، الابن ، الروح القدس) ، وقد استمرت كذلك في أوائل العصر الإسلامي حتى عهد عبد الملك بن مروان ، فاستاء من هذه الكتابة على الورق ، وهي تحمل في الثياب والأواني ... وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها[١٠٢] ، فكتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان عامل مصر : ((بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر))[١٠٣] . وأن يكتب بدلها شهادة التوحيد (قل هو الله أحد)[١٠٤] . ومن أجل تعميم عملية التعريب أرسل الخليفة إلى جميع عماله في ولايات الدولة ، بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز البيزنطيين ، ومعاقبة من وجد عنده ذلك بالضرب والحبس[١٠٥] .

وبذلك يكون الخليفة عبد الملك بن مروان أول من عرَّب الطراز والمكاتبات الرسمية في الدولة العربية الإسلامية ، وسيطر على إدارتها وعمالها وإنتاجها ، وما يكتب ويطرز عليها ، لذلك فربما يكون الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي أنشأ ديوان الطراز[١٠٦] ، وبذلك بدأ عصر جديد لدور الطراز في الدولة كلها ، إذ صار يكتب باللغة العربية على جميع ما تنتجه هذه الدور ، وصارت توضع شارة الخليفة ، وهي اسمه أو لقبه أو نحو ذلك على ملابس الجند ورجال الدولة ، وكان لهذا العمل نتائج دينية وسياسية وقومية بعيدة المدى في تاريخنا .

ومما يؤكد نجاح عملية تعريب دور الطراز هذه هو تنظيم صناعته بشكل واسع، فأصبح أساسًا لما حدث من نهضة في صناعته ، ولاسيما في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك[١٠٧] (٩٦ ــ ٩٩ هـ / ٧١٤ ــ ٧١٧ م) ، وعهد الخليفة هشام بن عبد الملك[١٠٨] (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ / ٧٢٣ ــ ٧٤٢ م) ، ولاسيما في مصر بشكل خاص ، وكثيرًا ما كانت هذه المنسوجات تستعمل كملابس أو للخلع التي يخلعها الخليفة على كبار رجال دولته[١٠٩] .

وتحتفظ دار الآثار العربية بمصر بقطعة من الكتان الأبيض وعليها شريط فيه رسوم طيور ومكتوب (نسجًا) على هذه القطعة بالخط الكوفي وبالحرير وبلون أحمر: هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور المحمدية من سنة (٨٨ هـ / ٧٠٦ م)[١١٠] .

كما وصلت إلينا قطعة حريرية مكتوب عليها اسم الخليفة مروان ، إلا أنه لا يعرف من المقصود باسم مروان ، هل هو مروان بن الحكم أم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين[١١١] ، والأرجح أنها تعود لعصر الخليفة مروان بن محمد (١٢٧ ــ ١٣٢ هـ / ٧٤٤ ــ ٧٤٩ م) ، وذلك لأن الطراز كما قلنا لم يعرب إلا في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان .

أما ما يخص تعريب المكاتبات الرسمية لمؤسسات الدولة العربية الإسلامية ، فقد بدأت منذ وقت مبكر ، ففي سنة (٥٧ هـ / ٦٧٦ م) ، صارت العبارة العربية لها المكان الأول تتلوها الترجمة اليونانية في هذه المكاتبات[١١٢] .

وفي سنة (٧٤ هـ / ٦٩٣ م) ، وربما بعد ذلك التاريخ بسنتين طرأ إصلاح مهم باتجاه تعريب المخاطبات الرسمية للدولة ، ولاسيما في مصر ، إذ بدلت الرموز غير الإسلامية وعباراتها بعبارات مكتوبة باللغتين اليونانية والعربية ، إذ كانت تقتصر كتابة أسماء الموظفين اليونانيين في الصكوك الرسمية على اليونانية فقط ، فاستبدلت فيما بعد بكتابة يونانية وعربية ، وما يقال عن الصكوك يقال عن (البروتوكولات) ، بل زادوا هنا ، إذ استبدلوا اسم الحاكم الروماني (قوميس) باسم الوالي العربي ، وأحياناً اسم الخليفة[١١٣] .

المبحث الثالث

تعريب الدواوين

١. طبيعة التعريب وأسبابه :

كانت دواوين الدولة في العصر الأموي على نوعين : الأول : الدواوين المركزية ، وهي استمرار لدواوين الجند التي أنشأها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في الأمصار الإسلامية الرئيسة ، ولغة هذه الدواوين هي العربية . أما النوع الثاني : فهي الدواوين المحلية ، وهي دواوين الخراج التي وجدها العرب المسلمون في الأقاليم التي حرروها ، وكانت تكتب باللغات المحلية ، وهي المعنية بالتعريب[١١٤] .

لقد استمرت دواوين الخراج هذه تكتب باللغات الأجنبية المحلية في جميع أرجاء الدولة العربية الإسلامية حتى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان ، فكانت في العراق والمشرق الإسلامي تكتب باللغة الفارسية ، وفي بلاد الشام تكتب باليونانية ، وفي مصر تكتب

باليونانية والقبطية[١١٥] ، وأكد ذلك الجهشياري بقوله : ((ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لإحصاء الناس وأعطيائهم ، وهذا الذي كان عمر ﷺ قد رسمه ، والآخر لوجوه الأموال بالفارسية ، وكان في الشام مثل ذلك ، أحدهما بالرومية اليونانية) والآخر بالعربية ، فجرى الأمر على ذلك إلى أيام الخليفة عبد الملك بن مروان))[١١٦] .

يقصد بتعريب الدواوين تلك الحركة التي قام بها الخليفة عبد الملك بن مروان ، وأكملها الخلفاء من بعده ، وهي جزء من حركة تعريب وإصلاح عربية إسلامية شاملة، وسياسة مرسومة حان وقت تنفيذها ، وكانت تهدف إلى إعادة تنظيم كل أجهزة الدولة وصبغها بالصبغة العربية ، فهي إذن ليست نتيجة حالات طارئة وقتية ، ولمجرد الأسباب الساذجة التي أوردها كل من البلاذري والجهشياري ، والتي يبدو فيها التأثيرات الشعوبية واضحة .

إن استقرار أوضاع الدولة الداخلية وما رافقه من تطور حضاري صاحبه ظهور عدد من الكتَّب العرب والموالي ، ممن يجيدون الكتابة بالعربية والترجمة إلى اللغات الأجنبية[١١٧] ، فضلاً عن الرغبة الشديدة لدى الدولة ممثلة بالخليفة عبد الملك بن مروان وتطلعاته القومية في رسم المستقبل على أسس قوية ترتكز على لغتها لغة السياسة والدين ، وعلى هدي المبادئ السماوية ، كل هذا جعل التعريب من أوليات أعمال الدولة وضرورة ملحة تقتضيها الحال .

وكانت للعوامل المالية والاقتصادية أثرًا مهمًّا في تعريب دواوين الخراج ، فقد كان متولِّي هذه الدواوين يحصلون على أموال طائلة من عملهم هذا ، مما يؤثر سلبًا في واردات بيت المال واقتصاد الدولة ، لذلك كان التعريب خطوة أولى باتجاه إعادة تنظيم طريقة جباية الضرائب في الأقاليم ، وضبط أعمال الدواوين والإشراف الدقيق عليها ، فيمنع الغش والتزوير ، فهو بذلك جزء من خطة الإصلاح المالي الذي كانت الدولة بحاجة ماسة إليه آنذاك[١١٨] . وكذلك كان الخليفة عبد الملك بن مروان يهدف من وراء تعريب الدواوين إلى تحقيق وحدة الدولة وتماسكها ، بتوحيد النظم المالية والإدارية ، وإنهاء التأثيرات الشعوبية والعنصرية .

كما إن بقاء اللغات الأجنبية مستعملة في الدواوين يعني بقاء الموظفين من غير العرب أو من غير المسلمين ، مما يؤدي إلى منافسة هذه اللغات للغة العربية ، ويضعف كيان الدولة القومي ، إذ يتعارض ذلك مع سيادة الدولة واستقلالها .

وكان الحرص على سلامة اللغة العربية من العوامل المهمة لتعريب الدواوين ، فقد دخلت شعوب وأقوام مختلفة اللغات والديانات إلى الإسلام ، وحاجة هؤلاء الماسة إلى التفقه الدين وقراءة القرآن الكريم ، مما شدَّد الصراع بين اللغة العربية واللغات الأخرى[١١٩] ، وأدى إلى شيوع اللحن ، لذلك بات من الضروري ضبط قراءة القرآن ، عن طريق تمييز الحروف المتشابهة بوضع النقط عليها[١٢٠] .

٢. تعريب دواوين الشام:

كانت دواوين الخراج في بلاد الشام تكتب باللغة اليونانية ، وكان أهل الذمة من النصارى هم الذين يسيطرون على إدارتها ، فقد كان سرجون بن منصور يتولى ديوان الخراج في دمشق منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وحتى تعريبه في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[١٢١] .

أما ما يتعلق بأسباب تعريب دواوين الشام هذه ، فقد أوردت بعض مصادرنا المهمة أسبابًا ساذجة وغير مقنعة ، كالبلاذري والجهشياري ، ويعلل البلاذري هذا الحدث الكبير بقوله : ((... إن رجلاً من كُتَّاب الروم احتاج أن يكتب شيئًا ، فلم يجد ماءً فبال في الدواة ، فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه ، وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان))[١٢٢] .

أما الجهشياري فيعلل ذلك بالقول : إن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر كاتبه (سرجون بن منصور) ((يومًا بشيء فتثاقل عنه وتوانى فيه ، فعاد لطلبه ، وحثَّه فيه فرأى منه تفريطًا وتقصيرًا ، فقال عبد الملك لأبي ثابت سليمان بن سعد الخشني ــ وكان يتقلد له ديوان الرسائل ــ أما ترى إدلال سرجون علينا ؟ قال : لو شئت لحولت الحساب إلى العربية ، قال : فافعل ، فحوَّله ، فرد إليه عبد الملك جميع دواوين الشام))[١٢٣] ، وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها[١٢٤] .

ومن تحليل هذين النصين نستنتج الكثير من الأمور المهمة ، ومنها : أن أهل الذمة من النصارى كانوا يسيطرون على دواوين الخراج ، وكانوا على درجة عالية من الغرور والكبرياء ، وسوء السلوك أحيانًا ، مما يدفع الخليفة إلى معاقبتهم التي تصل إلى الضرب أحيانًا[١٢٥] ، وحينما لم تنفع هذه السياسة أمر كاتب رسائله بتعريب دواوين خراج الشام ، فأنجز ذلك بمدة قصيرة ، لذلك كرَّمه الخليفة بأن جعله مسؤولاً عن جميع دواوين الشام[١٢٦] .

ومما يلحظ على تعليل مصادرنا الأولية للأعمال الكبيرة التي أنجزها الخليفة عبد الملك بن مروان ، كضرب النقود وتعريب الطراز والدواوين ، أنها تعلل كل عمل بشكل منفصل عن الأعمال الأخرى ، ولا تربط بينها وبين سياسة الخليفة الإصلاحية وتوجهاته القومية ، كما يمكن القول إنها لم تستطع استيعاب عظم هذه الأعمال وضخامتها ، ولم تستطع أن ترى الأهداف البعيدة التي يتوخى الخليفة الوصول إليها من وراء هذه الأعمال ، حتى إننا نرى ــ إن لم نتجاوز في ذلك ــ أن بعض هذه المصادر تريد التقليل من أهمية هذه الأعمال المجيدة ، ويبدو ان للروايات الشعوبية أثرًا كبيرًا في ذلك .

ومن أجل إنجاح عملية تعريب دواوين الشام ، خصص الخليفة عبد الملك بن مروان خراج جند الأردن ولمدة سنة كاملة ، وهو (مائة وثمانون ألف) دينار ، معونة لسليمان بن سعد في عمله[١٢٧] ، كما ولاه الأردن ، فلم تنقض السنة حتى أتم سليمان تعريب دواوين الشام

كلها ، وكان ذلك في سنة (٨١ هـ / ٧٠٠ م)[١٢٨] ، ونتيجة لذلك صرف الخليفة سرجون بن منصور عن الديوان ، مما أدى إلى ضعف نفوذ أهل الذمة في الديوان واضمحلاله ، وقد عبر عن ذلك سرجون بوضوح حينما قال لجماعة من كتَّاب الروم: ((اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم))[١٢٩].

٣. تعريب دواوين العراق :

كانت دواوين خراج العراق تكتب بالفارسية ، ولا بد أن عملية تعريبها كان بأمر وتوجيه من الخليفة عبد الملك بن مروان ، من أجل استكمال عملية التعريب الشاملة ، وكان لوالي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي دور متميز في ذلك ، فيقول البلاذري[١٣٠] : ((لم يزل ديوان خراج السواد وسائر العراق يكتب بالفارسية ، فلما ولي الحجاج العراق ، استكتب زادان فروخ بن بيري ، وكان معه صالح بن عبد الرحمن ، مولى بني تميم يخط بين يديه بالعربية والفارسية ، ... فوصل زادان فروخ صالحًا بالحجاج وخفَّ على قلبه ، وقال له ذات يوم : إنك سببي إلى الأمير وأراه قد استخفني ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط في نظره ، فقال : لا تظن ذلك ، هو أحوج إليَّ منه إليك ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري ، فقال : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته ، قال : فحول منه شطرًا حتى أرى ففعل ، ولما رأى زادان فروخ مقدرة صالح في الترجمة ، طلب منه أن يتمارض ، فبعث الحجاج طبيبه[١٣١] فلم ير به علة ، وعلم زادان فروخ بذلك فأمر صالحًا أن يخرج)) .

ويستنتج من دراسة رواية البلاذري المهمة هذه جملة أمور ، منها : بوادر ظهور طبقة من الكتَّاب الذين يجيدون اللغة العربية والفارسية معًا ، سواء أكانوا من العرب أم من الموالي ، وخير مثال على هذا هو صالح بن عبد الرحمن ، الذي كان يتمتع بقابلية علمية متميزة[١٣٢] ، أهلته لأن يكسب رضا الحجاج ، مما أجج الحسد والمنافسة بينه وبين زادان فروخ[١٣٣] .

ويتبن كذلك من هذه الرواية أن البلاذري قد أرجع عملية التعريب هذه إلى ما كان بين صالح بن عبد الرحمن وزادان فروخ من نقاش ومنافسة ، وكأنها جاءت بشكل عرضي ومرتجل من قبل الحجاج ، كما نستنتج أيضًا أن فكرة تعريب الدواوين تبدو وكأنها كانت واضحة ومطروقة ومختمرة في ذهن صالح بن عبد الرحمن ، إذ قال صالح لزادان فروخ : والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته[١٣٤] .

وحينما علم زادان فروخ بمقدرة صالح في التعريب أحسَّ بخطره على مكانته ومكانة كتَّابه من الفرس ، لذلك قال زادان فروخ لكتَّابه من الفرس : ((التمسوا مكسبًا غير هذا))[١٣٥] .

ويمكن أن نعد هذه الحقبة مرحلة أولى من عملية التعريب هذه ، ويبدو أن هذه المرحلة قد تعثرت بسبب اضطراب أحوال العراق السياسية في هذه الحقبة ، والتي تمثلت بتمرد جيش عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج[١٣٦] ، وبعد مقتل زادان فروخ في هذا التمرد في البصرة بحدود سنة (٨٢ هـ / ٧٠١ م) ، واستتباب الأمن ثانية ، بدأت مرحلة جديدة في عملية التعريب ، وقد أكد ذلك البلاذري بقوله : ((ثم إن زادان فروخ قتل أيام عبد الرحمن بن الأشعث ... فاستكتب الحجاج صالحًا مكانه ، فأعلمه الذي كان جرى بينه وبين زادان فروخ في نقل الديوان ، فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية ، وقلد ذلك صالحًا))[١٣٧] .

ومن الواضح من خلال هذا النص أن البلاذري يرى أن تاريخ تعريب دواوين العراق كان بعد سنة (٨٢ هـ / ٧٠١ م) ، أما الجهشياري فكان يرى أنه تم سنة (٧٨ هـ / ٦٩٧ م) ، ويبدو أن رأى الجهشياري أقرب إلى واقع الحال ، إذ لا يوجد هناك تعارض بين عمل صالح في الترجمة ووجود زادان فروخ ، لأن ما ترجمه صالح إلى العربية هو الكتب الرسمية واوراق الحسابات ، في الوقت الذي بقيت فيه سجلات المقاطعات والأقاليم كما كانت تكتب بالفارسية ، فضلاً عن أن أحوال العراق في سنة (٧٨ هـ / ٦٩٧ م) وما بعدها قد استقرت ، مما مكن الخليفة عبد الملك بن مروان من إعادة تنظيم وحدة الدولة على أسس عربية .

وحينما بدأ صالح بن عبد الرحمن بتعريب الدواوين ، وبتوجيه من الحجاج حاولت الشعوبية الفارسية ، وعلى راسها مردانشاه بن زادان فروخ إفشال هذه العملية ، عن طريق التشكيك بمقدرة صالح تارة ، وعن طريق أسلوب الرشوة تارة أخرى ، لذلك حاول مردانشاه امتحان صالح لمعرفة مقدرته على تعريب الدواوين ، فقال له : ((كيف تصنع بدهويه[١٣٨] وششويه[١٣٩] ؟ قال : أكتب عشرًا ونصف عشر ، قال : فكيف تصنع بويد[١٤٠] ؟ قال : أكتب أيضًا ، والويد : النيف ، والزيادة تزاد[١٤١] .

وحينما بدا لمردانشاه مقدرة صالح في عملية التعريب هذه ، عبر عن موقف شعوبي واضح بقوله له : ((قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية))[١٤٢] ، وحاول أيضًا ومن ورائه الشعوبية الفارسية رشوة صالح ، لإظهار عجزه عن ذلك ، إذ عرضوا عليه (مائة ألف) درهم ، إلا أنه أبى إلا أن يعرب الدواوين ، فعربها في مدة وجيزة أمهله الحجاج إياها[١٤٣] .

وبذلك صار لصالح بن عبد الرحمن فضل كبير في تعريب دواوين العراق والمشرق الإسلامي ، إذ عُدَّ معظم كتَّاب العراق تلامذة لصالح ، تخرجوا على يديه[١٤٤] ، مما يعني أنه قدم خدمة كبيرة لكتَّاب العربية ، فيقول عبد الحميد بن يحيى ، كاتب الخليفة الأموي مروان بن محمد : ((لله درُّ صالح ما أعظم منته على الكتَّاب))[١٤٥] .

٤. تعريب دواوين مصر :

تؤكد أوراق البردي المكتشفة حديثًا أن اللغة العربية أخذت تنتشر وتزداد أهميتها في دواوين مصر مع دخول العرب المسلمين المحررين إليها[١٤٦] ، وصارت اللغة العربية تنافس اللغة اليونانية ، ومنذ سنة (٥٧ هـ / ٦٧٦ م) أصبح المكان الأول للعبارة العربية وتتلوها الترجمة اليونانية في المكاتبات الرسمية[١٤٧] ، ثم قام الوالي عبد العزيز ابن مروان أثناء ولايته بالتدوين الثاني للديوان[١٤٨] .

كان يتولى ديوان الخرج في مصر للوالي عبد العزيز بن مروان (أثيناس) ، وهو من أهل الذمة من نصارى مدينة الرُّها ، وكان واسع السلطان عظيم النفوذ والجاه لدى عبد العزيز بن مروان[١٤٩] ، وكان يحصل على أموال طائلة من عمله هذا ، فيذكر أنه كان يأخذ من عمله (ستين ألف) دينار سنويًّا ، فضلاً عن دينار واحد يأخذه من كل جندي ، وكان يملك (أربعة آلاف) عبد ، وكثيرًا من الدور والقرى والبساتين والذهب والفضة ، و(أربعمائة) حانوت في الرها[١٥٠] . وعلى الرغم من أن هذه الأرقام تبدو المبالغة فيها واضحة ، إلا أنها تعطينا صورة سيئة عن استغلال هؤلاء لمناصبهم ، وثرواتهم الواسعة ، وطريقة توزيع العطاء وجباية الضرائب ، مما يؤثر سلبيًّا على موارد بيت المال ، كل ذلك يؤكد أهمية العامل المالي والاقتصادي الذي دفع الخليفة عبد الملك بن مروان لتعريب دواوين الخراج في الدولة .

لقد تأخر تعريب دواوين خراج مصر ، وربما كان أحد أسباب ذلك هو ضعف التأثير العربي النسبي قياسًا على بلاد الشام والعراق ، واختلف المؤرخون فيمن أنجز عملية تعريب دواوين خراج مصر ، وهل تم ذلك في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أو كان في عصر ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فيذكر القلقشندي أن ((أول من نقل دواوين مصر ... هو عبد العزيز بن مروان في إمارته على مصر))[١٥١] ، وهذا يعني في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان ، إلا أن غالبية مصادرنا الأولية تؤكد أن عملية التعريب قد تمت في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ــ ٩٦ هـ / ٧٠٥ ــ ٧١٥ م) ، وفي ولاية أخيه عبد الله بن عبد الملك لمصر ، وبحدود سنة (٨٧ هـ ــ ٧٠٦ م)[١٥٢] ، فعزل أثيناس عن الديوان ، وعيَّن بدله عربي من أهل حمص ، وهو ابن يربوع الفزاري ، الذي تمكن من تعريب دواوين خراج مصر[١٥٣] .

وبذلك نستطيع القول : إن عملية تعريب دواوين خراج مصر بدأت في خلافة عبد الملك بن مروان إبان ولاية عبد العزيز لها ، وتمت في خلافة الوليد بن عبد الملك، وفي ولاية عبد الله بن عبد الملك لها .

المبحث الرابع

نتائج حركة التعريب

لقد جاءت حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان بنتائج مهمة وفي جميع الميادين المختلفة ، ما زالت آثار بعضها شاخصة حتى عصرنا الراهن ، ويمكن إجمال هذه النتائج بما يأتي :

١. إيجاد نظام نقدي عربي إسلامي خاص ، وخالٍ من التأثيرات الأجنبية ، محققًا بذلك وحدة الأمة سياسيًّا واستقلالها اقتصاديًّا .

٢. ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان عملة عربية إسلامية ، توصف اقتصاديًّا بأنها عملة جيدة ، قضت على العملة الرديئة المتداولة قبل التعريب[١٥٤] ، فحققت هذه العملة إنجازات اقتصادية مهمة ، منها : استقرار قيمة العملة ، وثبوت الأسعار ، وترصين الثقة المالية بالعملة الجديدة ، وتوسيع النشاط المالي والاقتصادي في الدولة ، وحصول بيت المال على كامل حقوقه من الأموال من دون ضرر وإضرار ، مما أدى إلى استقرار الخراج .

٣. ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان عملته على الأسس الشرعية[١٥٥] ، فقبلها الفقهاء وتعاملوا بها[١٥٦] ، فحلَّ بذلك إشكالات شرعية كثيرة مهمة ، تتعلق بالعبادات والمعاملات ، منها : دفع مقدار الزكاة والصداق والعقود والوقف والديات... وغيرها[١٥٧].

٤. إن حركة التعريب أدت إلى إزالة كل مظهر من مظاهر الشرك والوثنية ، التي تمثلت بما صُوِّر ونُقِّشَ على النقود والقراطيس ، إذ حمل الدرهم صورًا تمثل مظاهر عبادة النار في الديانة المجوسية ، كما حملت الدنانير والقراطيس صورًا وعبارات تتعارض مع أسس العقيدة الإسلامية ، فكانت نقود الخليفة عبد الملك بن مروان موافقة لمبادئ عقيدة التوحيد الإسلامية ، ولسنة رسول الله محمد ﷺ ، لذلك أرضت الشعور الديني للمسلمين .

٥. إن تعريب الطراز أدى إلى شيوع صناعته وتنظيمها وتطويرها وازدهارها ، مما أحدث نهضة واسعة في صناعة النسيج ، ولاسيما في مصر ، فصارت دور الطراز تنتج مختلف المنتجات المحلاة بعبارات إسلامية ، مكتوبة باللغة العربية ، لذلك ربما كان الخليفة عبد الملك بن مروان هو المؤسس الحقيقي لديوان الطراز .

٦. تحقيق الإشراف التام على النواحي المالية والإدارية وضبط أعمال دور الضرب والطراز والدواوين وسجلات الضرائب ، مما أوجد نظامًا إداريًّا وماليًّا شاملاً وموحدًا في الدولة ، أصبح أساسًا اعتمدته الدولة العباسية فيما بعد .

٧. سيادة اللغة العربية وتعزيز مكانتها بين اللغات الأجنبية ، فصارت العربية لغة الإدارة والثقافة ، فضلاً عن كونها لغة السياسة والدين والعلم ، وأصبحت أداة التفاهم اليومي

في كل أقاليم الدولة ، فاصطبغت كلها بالصبغة العربية حتى صارت على حد قول البيروني[١٥٨] : ((ديننا والدولة عربيان وتوأمان ترفرف على أحدهما القوة الإلهية ، وعلى الآخر اليد السماوية ، ... وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمسًا وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفًا صفًا)) ، لذلك يمكن أن نعد التعريب أعظم حدث ثقافي في تاريخ الدولة العربية الإسلامية بعد جمع القرآن الكريم ، نظم على وفق خطة شاملة[١٥٩] .

٨. إيجاد أجيال من الكتَّاب العرب والموالي تولوا إدارة الدواوين المعربة ، وكان لصالح بن عبد الرحمن أبلغ الأثر في ذلك[١٦٠] ، وبذلك ((كان عامة كتَّاب العراق تلامذة صالح ، ومن هؤلاء : المغيرة بن أبي قرّة ، وقحذم بن أبي سليم ، وشيبة بن أيمن ، والمغيرة وسعيد ابنا عطية ، ومروان بن إياس))[١٦١] ، وغيرهم .

٩. أدت حركة التعريب إلى إثارة الروح العصبية لدى فئة من الموظفين الأعاجم ، لأن التعريب قضى على مكانتهم واحتكارهم لوظائفهم ومناصبهم الإدارية والمالية ، وكشف سوء استعمالهم لوظائفهم ، الذين أُخرجوا منها ، فاستاءوا من الدولة ونقموا عليها ، ويظهر ذلك من خطاب سرجون بن منصور لبعض كتاب الروم بقوله : ((اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم))[١٦٢] .

١٠. ظهور بوادر حركة ثقافية علمية واسعة ، كان من أبرز مظاهرها بدايات حركة الترجمة عن اللغات الأجنبية ، تمثلت في جهود خالد بن يزيد بن معاوية ، الذي عُدَّ أول من أمر بنقل بعض الكتب في الكيمياء والطب من اليونانية إلى العربية ، التي أحبها الناس ، فيقول البيروني[١٦٣] ((... وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم، فازدانت وحلت في الأفئدة ، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة ... والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسية ، كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به)) ، كما أدى ذلك إلى نقل الكثير من المصطلحات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وغلبة الخط العربي على خطوط اللغات الأخرى ، وانعدام قسم منها كالآرامية والسريانية والقبطية[١٦٤] .

١١. نشط الموالي في تعلم العربية وإتقانها من أجل الوصول إلى الوظائف والمناصب العليا في الدولة ، فكثر اللحن في اللغة ، مما دفع المسؤولين لمعالجة ذلك ، فاندفع الموالي إلى تعلم النحو ودراسته ، فبدأت نهضة لغوية في العصر الأموي ، ثم اتسعت كثيرًا في العصر العباسي .

١٢. كانت حركة التعريب سبيلاً إلى تعريب الأقاليم والجاليات غير العربية ، فكان هذا من أكبر العوامل في انتشار العربية[١٦٥] ، كما أن أجزاء كثيرة من الدولة العربية الإسلامية ما زالت إلى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لجهود الخليفة عبد الملك بن مروان[١٦٦] ،

فسادت اللغة العربية أفريقية كلها ، وأصبحت جزءًا مهمًّا من الدولة[١٦٧] ، فدعم ذلك وحدة الدولة وشدَّد من تماسكها ، وعلى ذلك فإن العربية هي الأداة التي جعلت المجتمع العربي يتسع رويدًا رويدًا ، حتى صارت حدوده تمتد من الخليج العربي شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا[١٦٨] .

١٣. عُدَّ التعريب من أهم أسس بناء القومية العربية في كل أقاليم الدولة ، مما أنهى آخر مظهر من المظاهر الأعجمية ، لذلك صارت الدولة عربية بأوضاعها متجهة إلى التعريب بسكانها[١٦٩] ، فكان للخليفة عبد الملك بن مروان فضل لا يقدر في حفظ العربية أكبر مقومات ثقافة الأمة العربية ، إذ استمرت الدولة محتفظة بهذه المقومات ، حتى بعد انتهائها ، فقامت الدولة العباسية على هذه الأسس واحتفظت بهذه المقومات أيضًا[١٧٠] .

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

(١) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، باعتناء : رضوان محمد رضوان ، المطبعة المصرية بالأزهر ، (مصر ــ ١٩٣٢ م) ، ص ٤٥٢ ؛ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (القاهرة ــ ١٩٦٠ م) ، ص ١٥٤ .

(٢) البغلية : وهي نوع من الدراهم ، منسوبة إلى بغل ، وهو اسم يهودي ضربها ، وكان يعرف برأس البغل ، وأطلق عليها أيضًا السود الوافية ، لاستيفائها الوزن الحقيقي للدرهم ، وسميت كذلك (الكسروية) . أبو عبيد ، القاسم بن سلاَّم الجمحي ، الأموال ، تح وتعليق : محمد خليل هراس ، ط ٢ ، منشورات دار الفكر ، (القاهرة ــ ١٩٧٥ م) ، ص ٦٢٩ ؛ قدامة ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي ، طبعة دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، (بغداد ــ ١٩٨١ م) ص ٦٠ ؛ النقشبندي ، السيد ناصر محمود ، الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ــ ١٩٦٩ م)، ج ١ ، ص ٣.

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٢ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ؛ ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، نشره : روبن ليون ، مطبعة دار الفنون ، (كمبرج ــ ١٩٣٧ م) ، ص ١٨٢ ؛ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تح : محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ــ ١٩٤٠ م) ، ص ٤٨ ــ ٤٩ ؛ علي ، د. جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ــ ١٩٦٩ م) ج ٢ ، ص ١١٣ .

(4) WAIKER . John . Catalogue of The Arab Byzantine and Post – Reform umaiyed coins , (London – 1956) , Vol . 2 . P .37 , 46 , 201 , ff ;

فهمي ، د . محمد عبد الرحمن ، صنج السكة في فجر الإسلام ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة ــ ١٩٥٧ م) ، ص ٣٧ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٢ ؛ المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ٥١ ؛ ابن الرفعة ، أبو العباس نجم الدين الأنصاري ، الإيضاح التبيان في معرفة المكيال والميزان ، تح : الدكتور محمد أحمد الخاروف ، مطبعة درا الفكر ، (دمشق ــ ١٩٨٠ م) ، ص ٤٩ .

(٦) المقريزي ، إغاثة ، ص ٥٢ ؛ شذور العقود في ذكر النقود ، نشر المكتبة الحيدرية ، (النجف ــ ١٣٥٦ هـ) ، ص ٥ .

(٧) سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ــ ١٩٧١ م) ، ص ٥٢٤ .

(٨) فهمي ، د . محمد عبد الرحمن ، فجر السكة العربية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة ــ ١٩٦٥ م) ، ص ٣٦ ؛ الكبيسي ، د . حمدان عبد المجيد ، البعد القومي لعملية تعريب النقود ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد (٥) لسنة ١٩٨٠ م ، ص ٦٢ .

(٩) النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، ص ٤٢ ــ ٤٧ .

(١٠) النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، ص ٢٢ ، ص ٤٨ ــ ٤٩ .

(١١) م . ن ، ص ص ٢١ ، ٢٢ ، ٤٢ ــ ٤٥ ، ٤٨ ــ ٤٩ ؛ القزاز ، وداد علي ، الدراهم الإسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي ، مجلة المسكوكات ، العدد (١) لسنة ١٩٦٩ م ، ص ١٣ ــ ١٥ .

(١٢) النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، ص ٢٢ .

(١٣) م . ن ، ص ٢٣ .

(١٤) م . ن ، ص ٢٣ . دار بجرد : مدينة في بلاد فارس ، قرب مدينة اصطخر . ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت ــ ١٩٥٥ م) ، م ٢ ، ص ٤١٩.

(١٥) المقريزي ، شذور ، ص ٦ ؛ إغاثة الأمة ، ص ٥٢ ــ ٥٣ ؛ الخضري ، الشيخ محمد ، تاريخ الأمم الإسلامية ، ط ٨ ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(١٦) المقريزي ، شذور ، ص ٦ ؛ إغاثة الأمة ، ص ٥٣ ، كاشف ، د . سيده إسماعيل ، مصر في فجر الإسلام ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ــ ١٩٤٧ م) ، ص ٦٦ .

(١٧) النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، ص ٦٢ ــ ٦٧ .

(١٨) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٤ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ــ بلا ت) ، ص ٢٦١ ، ومن الجدير بالذكر أن البلاذري وابن خلدون ينفردان بذكر ضرب مصعب بن الزبير للدنانير .

(١٩) ومنهم : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ وعمر بن عبيد الله بن معمر ؛ وعبد الله بن خازم ؛ والمهلب بن أبي صفرة . ينظر :
Walker , John , Catalogue of The Arab Sassanian Coins (London – 1941) , Vol . I . P . Xli – Xiii ; النقشبندي ، الدرهم ، ص ١٣١

(٢٠) ومنهم : قطري بن الفجاءة . للتفصيل عن دراهم الخوارج ينظر : النقشبندي ، الدرهم ، ص ١٢٨.

(٢١) القراطيس : جمع مفرده : (قرطاس) ، وهو : ورق الكتابة ويصنع من البردي ، وتشتهر مصر بصناعته . ينظر : ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، بلا ت) ، مادة (قرطس) .

(٢٢) الدوري ، د. عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ٤ ، (بيروت ــ ١٩٨٢ م) ، ص ٣١ ــ ٣٢ .

(٢٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٨١ .

(٢٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٤ ؛ قدامة ، الخراج ، ص ٥٩ ؛ يقول العسكري : ((وكان أرباب الخراج يؤدون الطبرية التي هي (أربعة) دوانق ، وتمسكوا بالوافي الذي وزنه المثقال)) . العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الأوائل ، تح : محمد السيد الوكيل ، (المدينة المنورة ــ ١٩٦٦ م) ، ٢٣٨ .

(٢٥) المقريزي ، شذور ، ص ٧ ــ ٨ ؛ النقشبندي ، السيد ناصر محمود ، الدينار الإسلامي في المتحف العراقي ، ج١ ، مطبعة الرابطة (بغداد ــ ١٩٥٣ م) ، ص ١٦ .

(٢٦) ويمكن استنتاج ذلك إذا علمنا أن وارد خزينة الدولة العباسية لسنة (٣٠٦ هـ) كان (٣٧٠, ٦٠) دينارًا من دور الضرب في بغداد وسامراء والبصرة وواسط والكوفة . زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، (مصر ــ ١٩٣١ ــ ١٩٤٧ م) ج ٢ ، ٩٣ .

(٢٧) قدامة ، الخراج ، ص ٥٩ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ .

(٢٨) الماوردي ، الأحكام ، ص ١٥٤ .

(٢٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦١ .

(٣٠) الريس ، د . ضياء الدين ، عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية ، سلسلة أعلام العرب ، العدد (١٠) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (القاهرة ــ ١٩٦٢ م) ، ص ٢٧٩ .

(٣١) السكة : وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس ، بطابع من حديد ينقش فيه صورة أو كلمات مقلوبة ، ويضرب بها على الدنانير والدراهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة . ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦١ .

(٣٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٢ .

(٣٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤٢ .

(٣٤) العلي ، د . صالح أحمد ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، مطبعة المعارف ، (بغداد ــ ١٩٥٣ م) ، ص ١٨ ــ ٢٠ .

(٣٥) فهمي ، فجر السكة ، ص ٣٤ ــ ٣٥ ؛ دفتر ، د . ناهض عبد الرزاق ، المسكوكات ، مطابع دار السياسة (الكويت ــ بلا . ت) ، ص ٣٥ ــ ٥٣ .

(٣٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٥ .

(٣٧) السوداء الوافية : سميت بهذا الاسم لاستيفائها الوزن الحقيقي للدراهم ، وسميت كذلك الكسروية والبغلية . أبو عبيدة ، الأموال ، ص ٦٢٩ ؛ قدامة ، الخراج ، ص ٦٠ ؛ البيهقي ، إبراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، دار بيروت ، (١٩٦٠ م) ، ص ٤٦٩ ؛

Walker , op . cit . vol . I . P . cxIViii ;

النقشبندي ، الدرهم الإسلامي، ج ١، ص ٣ .

(٣٨) الطبرية : وهي الدراهم المضروبة في طبرستان ، وهي الدراهم الصغار أنصاف البغلية ، وتمتاز بجمالها واستدارتها ، ومعدل أقطارها (٢٣) ملم . أبو عبيدة ، الأموال ، ص ٦٢٩ ؛ المقريزي ، شذور ، ص ٣ ؛

Walker , op . cit . vol . I . P . cxIViii ;

النقشبندي ، الدرهم الإسلامي، ج ١، ص ٣ .

(٣٩) المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ٥٥ ــ ٥٦ .

(٤٠) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ (القاهرة ــ ١٩٦٧ م) ، ص ١٧٤ .

(٤١) المقريزي ، شذور ، ص ٨ ــ ٩ .

(٤٢) الكبيسي ، البعد القومي ، ص ٧٢ .

(٤٣) الطوامير جمع مفرده : (الطَّامُورُ والطُّومَارُ) ، وهو : الصَّحِيفَةُ ، وقيل : هو دَخِيلٌ ، وقيل : عَرَبِيٌّ مَحْضٌ . ينظر : الزبيدي ، محمد بن مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ط ١ ، المطبعة الخيرية (مصر ، ١٣٠٦ هـ) مادة (طمر) .

(٤٤) خالد بن يزيد : هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، الأمير الأموي ، اشتهر بالعلم ولاسيما الكيمياء والطب ، وله رسائل حسنة ، وكان يقول الشعر ، توفي سنة (٨٥ هـ / ٧٠٤ م) . ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ــ ١٩٤٨ م) ، ج ٢ ، ص ٤ ــ ٦ .

(٤٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ .

(٤٦) الباقر : هو محمد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، ولد بالمدينة المنورة سنة (٥٦ هـ / ٦٧٥ م) ، وقيل : توفي سنة (١١٤ هـ / ٧٣٢ م) أو بعدها بقليل ، كان فقيهًا فاضلاً ثقة ، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال . ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دائرة المعارف النظامية (حيدر آباد ــ الدكن ــ ١٣٢٦ هـ ــ ١٣٢٧ هـ) ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ــ ١١٢ .

(٤٧) (الصنجات) ، جمع مفرده : (صنجة) ، وهي لفظة أعجمية تعني الحجر ، ويراد بها في الاصطلاح : العيار ، ووضعت الصنج لصيانة الوزن من التلاعب ، والزجاج أحسن مادة لهذا الغرض ، إذ ((لا يستحيل إلى زيادة أو نقصان)) ، والخليفة عبد الملك بن مروان أول من وضع الصنج الزجاجية ، ويوجد في المتحف العراقي واحدة باسم الخليفة عبد الملك بن مروان . الدميري ، محمد بن موسى ، حياة الحيوان الكبرى ، دار الطباعة ، (القاهرة ــ بلا . ت) ، ج ١ ، ص ٧٣ ؛ أدي شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت ــ ١٩٠٨ م) ، ص ٩٥ ؛ النقشبندي ، الدينار ، ص ١٥ .

(٤٨) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص ٤٦٩ ؛ الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ / ص ٧١ ــ ٧٣.

(49) Walker : op . cit . vol . 2 . P .17 . PL . V . No . F .

(50) Walker : op . cit . vol . 2 . P .18 . PL . V . No . 54 ;

دفتر ، المسكوكات ، ص ٤٩ .

(51) Walker : op . cit . vol . 2 . P .10 . PL . V ;

النقشبندي ، الدينار ، ص ٢٣ ــ ٢٥ ؛ فهمي ، فجر السكة ، ص ٢٨٧ ؛ دفتر ، المسكوكات ، ص ٤٩ .

(52) Walker : op . cit . vol . 2 . P . 42 . PL . Viii . No (P . 13) (P . 14) ؛

النقشبندي ، الدينار ، ص ٢٣ ــ ٢٥ ؛ فهمي ، فجر السكة ، ص ٤٣ ــ ٤٤ ، ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ ؛ دفتر ، المسكوكات ، ص ٤٩ ، شكل رقم (١٣ ، ١٤) .

(٥٣) النقشبندي ، الدينار ، ص ٢٥ فما بعدها ؛ دفتر ، المسكوكات ، ص ٥٠ شكل رقم (١٦) .

(54) GRLERSON , P : " The Moetary Reform of Abd AL – Malik " , Journal of the Economic and social History of the Orient , JESHO , III , 1960 . P . 244 – 245 .

(٥٥) سلمان ، د. عيسى ، أقدم درهم معرب ، مجلة سومر ، م ٢٧ ،لسنة (١٩٧١ م) ، ص ١٤٨.

(٥٦) النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، ص ٢٣ ، ٥٨ .

(٥٧) م . ن ، ص ٢٣ ، ٥٨ . وهو درهم المتحف التاريخي في موسكو ، ويمتلك المتحف العراقي ثاني نسخة من هذا الدرهم في العالم . ينظر : سلمان ، د. عيسى ، درهم نادر ، مجلة سومر ، م ٢٦ ، ج ١ ، ٢ ، لسنة (١٩٧٠ م) .

(٥٨) النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، ص ٢٣ ، ٥٨ ؛ سلمان ، درهم نادر ، ص ١٦٣ .

(٥٩) سلمان ، أقدم درهم معرب ، ص ١٤٨ .

(٦٠) م . ن ، ص ١٤٨ .

(٦١) فهمي ، فجر السكة ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ؛

Walker : op . cit . vol . 2 . P . 32 – 42 .

(٦٢) سلمان ، د. عيسى ، المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله شكر الصراف ، مجلة المسكوكات ، العدد (٢) (بغداد ــ ١٩٦٩ م) ، ص ١٧ .

(63) Walker , op . cit . vol . 2 . P . IXVii , 209 – 293 .

(٦٤) مايكل بيتس ، روبرت دارلي ــ دوران ، كنوز الفن الإسلامي ، فن العملة الإسلامي ، ترجمة ومراجعة : د . رمزي جبران ، ط١ ، (الكويت ــ ١٩٨٥ م) ، رقم (٣٩١) ، ص ٣٦٠ .

(٦٥) م . ن ، ص ٣٦٠ .

(٦٦) فجر السكة العربية ، ص ٤٤ ، ٤٦ .

(٦٧) ينظر مثلاً : باشا ، أحمد تيمور ، التصوير عند العرب ، إخراج وتعليق : زكي محمد حسن ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ــ ١٩٤٢ م) ، ص ١١٧ فما بعدها .

(٦٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٢ ، المقريزي ، شذور ، ص ٦ .

(٦٩) شذور ، ص ٦ .

(٧٠) أبو عبيدة ، الأموال ، ص ٦٣١ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٢ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦١.

(٧١) النقشبندي ، الدينار الإسلامي ، ص ٢٥ ؛

Walker , op . cit . vol . 2 . P . 22 – 42 . PL . VI , VII , VIII .

(٧٢) ينظر مثلاً : فهمي ، فجر السكة ، ص ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ؛ النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المكتبة الثقافية ، (رقم ١١٣) ، (القاهرة ــ ١٩٦٤ م) ، ص ٣٣ ، ٣٧.

(٧٣) تطور النقود العربية ، ط ١ ، مطبعة دار الجاحظ ، (بغداد ــ ١٩٦٩ م) ، ص ٢٨ ؛ العملة الإسلامية في العهد الأتابكي ، (بغداد ــ ١٩٦٦ م) ، ص ٨٩ .

(٧٤) ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد ، جوامع السيرة ، تح : إحسان عباس ، وناصر الدين الأسد ، (مصر ــ بلا . ت) ، ص ٣٣٢ ؛ الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف ، طبقات الفقهاء ، تح : خليل الميس ، دار القلم ، بلا . ط (بيروت ــ بلا . ت) ، ص ٤٦ ؛ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق : محب الدين أبي سعيد العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بلا . ط (بيروت ــ ١٩٩٥ م) ، ج ٣ ، ص ١١٧ ، ١٢٠ ، ص ١٢١ .

(٧٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٢ ؛ علي ، سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب ، ترجمة : رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،(القاهرة ــ ١٩٣٨ م) ، ص ٨٨.

(٧٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٥ . يقول البلاذري : ((وأخذ عبد الملك بن مروان رجلاً يضرب على غير سكة المسلمين ، فأراد قطع يده ، ثم ترك ذلك وعاقبه)) . فتوح ، ص ٤٥٥ .

(٧٧) زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(٧٨) الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(٧٩) المقريزي ، شذور ، ص ٧ .

(٨٠) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٢ .

(٨١) م . ن ، ص ٤٥٤ ؛ قدامة ، الخراج ، ص ٥٩ .

(٨٢) المقريزي ، شذور ، ص ٨ ؛ الحكيم ، أبو الحسن علي بن يوسف ، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تح : حسين مؤنس ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد ــ ١٩٦٠ م) ، ص ٥٠ ، ضرار ، ضرار صالح ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، منشورات مكتبة الحياة ، (بيروت ــ ١٩٦٦ م) ، ص ١١٢ .

(٨٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٤ ؛ قدامة ، الخراج ، ص ٥٩ .

(٨٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٤ ؛ بيتس ، كنوز الفن ، ص ٣٥٩ صورة رقم (٣٨٧) ؛ النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، ص ١٣٢ .

(٨٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٤ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ .

(٨٦) تبين لي ذلك من خلال دراسة المراجع المهمة الآتية : النقشبندي ، الدينار الإسلامي ؛ (وكتابي Walker) ؛ وفهمي ، فجر السكة العربية .

(٨٧) فهمي ، فجر السكة العربية ، ص ص ٢٩٢ ، ٣٥٠ ، ٣٨٤ ؛ النقشبندي ، البكري ، مهاب ، الدرهم الأموي المعرب ، منشورات وزارة الإعلام العراقية ، (بغداد ــ ١٩٧٤ م) ، ص ١٣ .

(٨٨) النقشبندي ، الدينار ، ص ٢٥ ــ ٢٦ ، ٢٨ ؛

Walker : op . cit . vol . I . P . Xviii .

(89) Walker : op . cit . vol . 2 . P . XiVi , 50 - 59 .

(90) Walker : op . cit . vol . 2 . P . XVii , 59 – 61 ;

فهمي ، فجر السكة العربية ، ص ٨٠ ، دفتر ، المسكوكات ، ص ٧٥ ــ ٧٦ .

(٩١) الحسيني ، تطور النقود ، ص ٥٣ ؛ فهمي ، فجر السكة العربية ، ص ٨٢ .

(92) Walker : op . cit . vol . 2 . P . 99 .

(٩٣) الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، دار مطابع الشعب ، (القاهرة ــ ١٩٦٠ م) ، ص ٥٨١ ــ ٥٨٢ ؛ ابن الأثير ، مجد الدين المبارك بن محمد ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربي ، (القاهرة ــ ١٩٦٣ م) ، ج ٣ ، ص ١١٩ ، معروف ، د . ناجي ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ط ٦ ، مطبعة العاني ، (بغداد ــ ١٩٦٦ م) ، ص ١١٥ .

(٩٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ ؛ الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٩٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٧ .

(٩٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ ؛ العسكري ، الأوائل ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٧ .

(٩٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٧ .

(٩٨) كاشف ، مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٨٧ .

(٩٩) الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧١ .
(١٠٠) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص ٤٦٧ ؛ الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧١ .
(١٠١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص ٤٦٩ ، وذكرت المصادر الأخرى الحادثة باختلافات يسيرة ، ينظر مثلاً : العسكري ، الأوائل ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ؛ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، عيون الأخبار ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، (القاهرة ــ ١٩٦٣ م) ، ج ١ ، ص ١٩٩ ؛ ابن الأثير ، عز الدين علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، دار بيروت ، (١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ م) ، ج ٤ ، ص ٤١٦ ــ ٤١٧ ؛ الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧١ ــ ٧٢ .
(١٠٢) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص ٤٩٨ ــ ٤٩٩ .
(١٠٣) الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧١ .
(١٠٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤١ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، تح : الدكتور أسعد أطلس ، مكتبة الزوراء ،(بغداد ــ ١٩٥٠ م) ، ص ١٠١.
(١٠٥) الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧١ .
(١٠٦) ينظر : الدوري ، د . عبد العزيز ، النظم الإسلامية ، ط ١ ، مطبعة نجيب ، (بغداد ــ ١٩٥٠ م) ، ص ١٩٧ ؛ فوزي ، د . فاروق عمر ، النظم الإسلامية ، ط ١ ، (العين ــ ١٩٨٣ م) ، ص ٧٩ .
(١٠٧) ماهر ، سعاد ، النسيج الإسلامي ، (القاهرة) ، ص ٢٥ .
(١٠٨) ابن الزبير ، القاضي الرشيد ، الذخائر والتحف ، تح : د . محمد حميد الله ، (الكويت) ، ص ٢١١.
(١٠٩) كاشف ، مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٨٨ .
(١١٠) حسن ، زكي محمد ، الفن الإسلامي في مصر ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ــ ١٩٣٥ م) ، ج١ ، ص ٨٦ .
(١١١) كاشف ، مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٨٥ .
(١١٢) فهمي ، صنج السكة ، ص ١٢ .
(١١٣) جروهمان ، أدولف ، الأوراق البردية العربية ، محاضرات ألقيت في القاهرة سنة (١٩٣٠ م) ، ترجمة : توفيق أسكاروس ، مطبوعات دار الكتب المصرية ، المحاضرة الأولى ، ص ١٤ .
(١١٤) الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (القاهرة ــ ١٩٣٨ م) ، ص ٣٨ ؛ الصولي ، أبو بكر يحيى ، أدب الكتاب ، باعتناء : محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية ، (مصر ــ ١٣٤١ هـ) ، ص ١٩٢ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ ؛ ابن خلون ، المقدمة ، ص ٢٤٤ .
(١١٥) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ ؛ الصولي ، أدب ، ص ١٩٢ ؛ حسن ، إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ــ ١٩٥٩ م) ، ص ١٥٦ .
(١١٦) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ ؛ الصولي ، أدب ، ص ١٩٢ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٥٢ ؛ ابن خلون ، المقدمة ، ص ٢٤٤ .
(١١٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٤ ؛ طه ، د . عبد الواحد ذنون ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ط ١ ، (الموصل ــ ١٩٨٥ م) ، ص ١٤١ .

(١١٨) الريس ، د . محمد ضياء ، الخراج والنظم الإسلامية ، ط ١ ، مطبعة نهضة مصر ، (القاهرة ــ ١٩٥٧ م) ، ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ .

(١١٩) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، ط ٦ ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ــ ١٩٥٩ م) ، ص ٩٥ .

(١٢٠) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٤٤ ؛ الزنجاني ، أبو عبد الله ، تاريخ القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ٣ ، (بيروت ــ ١٩٦٩ م) ، ص ٨٩ .

(١٢١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٤٠ ؛ الصولي ، أدب ، ص ١٩٣ ؛ العسكري ، الأوائل ، ص ٢٠٧ ؛ ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحق ، الفهرست ، تح : رضا تجدد ، مطبعة دانشكاة ، (طهران ــ ١٩٧١ م) ، ص ٣٠٣ .

(١٢٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(١٢٣) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٤٠ ؛ الصولي ، أدب ، ص ١٩٣ ؛ العسكري ، الأوائل ، ص ٢٠٧ ؛ ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تح : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبياري ، مطبعة لجة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ــ ١٩٤٠ ــ ١٩٥٢ م) ج ٤ ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .

(١٢٤) السيوطي ، الوسائل ، ص ١٠١ .

(١٢٥) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٤٠ .

(١٢٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(١٢٧) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٧ .

(١٢٨) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٦ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(١٢٩) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٧ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٤ .

(١٣٠) فتوح البلدان ، ص ٢٩٨ .

(١٣١) كان طبيب الحجاج هذا هو (تياذوق) ، من أهل الذمة . ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الفكر ، (بيروت ــ ١٩٥٧ م) ، ص ٣٢ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٠٣ .

(١٣٢) الصولي ، أدب ، ص ١٩٢ ؛ العسكري ، الأوائل ، ص ٢٠٧ .

(١٣٣) الصولي ، أدب ، ص ١٩٢ .

(١٣٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ .

(١٣٥) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٨ ؛ الصولي ، أدب ، ص ١٩٢ ؛ العسكري ، الأوائل ، ص ٢٠٧ .

(١٣٦) للتفصيل ينظر : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ــ ١٩٣٩ م) ، ج ٥ ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية في التاريخ ، ط ١ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، مكتبة النصر (الرياض) ، ١٩٦٦ م ، ص ٣٧ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت ــ ١٩٧٦ م) ، م ٣ ، ص ٤٧.

(١٣٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٠٢ .

(١٣٨) دهويه ، تعني : عُشر ،

Sprengling , M " From Persian to Arabic " The American Journal of Semitic Languages and Literature , Vol , 56 . 1939 . P . 196 .

(١٣٩) ششويه ، تعني : نصف العشر Ibid , P . 196 .

(١٤٠) الويد ، تعني : الأكثر قليلاً Ibid , P . 196 .

(١٤١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٠٣ .

(١٤٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٠٣ ؛ الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٣.

(١٤٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ ؛ الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٣ .

(١٤٤) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٩ ؛ الصولي ، أدب ، ص ١٩٢ .

(١٤٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٠٣ ؛ الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٣ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٤ .

(١٤٦) حسن ، النظم الإسلامية ، ص ١٥٦ ، عمر ، أحمد مختار ، تاريخ اللغة العربية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، (القاهرة ــ ١٩٧٠ م) ، ص ٣٠ ــ ٣١ . ويذكر الكندي أن لغة دواوين مصر كانت القبطية فقط . الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف ، ولاة مصر ، تح : الدكتور حسين نصار ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت ، ١٩٥٩ م) ، ص ٨٠ .

(١٤٧) فهمي ، صنج السكة ، ص ١٢ .

(١٤٨) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، مكتبة المثنى ، (بغداد ــ بلا . ت) ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(١٤٩) الكندي ، ولاة مصر ، ص ٧٢ ، ٨٠ ؛ الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٤ ــ ٣٥ ؛ ترثون ، أ . س ، أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة : حسن حبشي ، مطبعة الاعتماد ، (مصر ــ ١٩٤٩ م) ، ص ٢١ .

(١٥٠) ترثون ، أهل الذمة ، ص ٢١ ــ ٢٢ .

(١٥١) القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي ، صبح الأعشا في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، مطابع كوستاتوماس وشركاه ، (القاهرة ــ ١٩٦٣ م) ، ج ١ ، ص ٤٢٣ .

(١٥٢) الكندي ، ولاة مصر ، ص ٨٠ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(١٥٣) الكندي ، ولاة مصر ، ص ٨٠ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٩٨ ، ٣٠٢ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، (القاهرة ــ ١٩٦٣ م) ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(١٥٤) قدامة ، الخراج ، ص ٥٩ ؛ الماوردي ، الأحكام ، ص ١٥٤ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(١٥٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ؛ ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٢ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٨ ــ ٩ .

(١٥٦) روى البلاذري عن عثمان بن عبد الله قوله: ((فقدمت علينا (دنانير ودراهم عبد الملك) المدينة ، وبها نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم من التابعين فلم ينكروا ذلك)). فتوح ، ص ٤٥٢.

(١٥٧) المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ٥٥ ، ٥٦ ؛ شذور ، ص ٨ ــ ٩ .

(١٥٨) أبو الريحان محمد بن أحمد ، الصيدنة ، تح : الحكيم محمد سعيد ، والدكتور رانا إحسان إلى ، مؤسسة همدد الوطنية ، (باكستان ــ ١٩٧٣ م) ، ص ١٢ .

(١٥٩) الدوري ، د . عبد العزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، منشورات المثنى ، (بغداد ــ ١٩٤٩ م) ، ص ١٥ .

(١٦٠) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٨ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٠٣ ؛ الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٣ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٤ .

(١٦١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٩ ؛ الصولي ، أدب ، ص ١٩٢ .

(١٦٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٩٧ ؛ الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٢ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٤.

(١٦٣) الصيدنة ، ص ١٢ .

(١٦٤) خليفة ، حاجي ، مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط ٣ ، المطبعة الإسلامية ، (طهران ــ ١١٨٧ هـ) ، ص ٤٦٤ .

(١٦٥) الريس ، عبد الملك بن مروان ، ص ٢٨٦ .

(١٦٦) ماجد ، د . عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ط ٥ ، مكتبة الأنكلو المصرية ، (القاهرة ــ ١٩٧٦ م) ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(١٦٧) لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة : محمد عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة ــ ١٩٤٥ م) ، ص ٢٦٥ .

(١٦٨) ماجد ، د . عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ط ٣ ، (القاهرة ــ ١٩٧٣ م) ، ص ١٥ .

(١٦٩) كرد علي ، محمد الإسلام والحضارة العربية ، ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ــ ١٩٦٨ م) ، ص ١٦٨ ؛ أبو النصر ، عمر ، عبد الملك بن مروان ، ط ١ ، منشورات المكتبة الأهلية ، (بيروت ــ ١٩٦٢ م) ، ص ٢٣٨ .

(١٧٠) الريس ، عبد الملك بن مروان ، ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ .